

روايات مصرقة الحبيب

16



سافاري

[www.dvd4arab.com](http://www.dvd4arab.com)  
Hany3H

## مقدمة

( سافاري ) مصطلح غربي تم تحريفه عن كلمة  
( سافرية ) العربية .. وحين يتحدثون عن الـ ( سافاري )  
فهم يتحدثون عن رحلات صيد الوحوش في أدغال  
( إفريقيا ) ..

لكن وحدة ( سافاري ) التي سنقابلها هنا كانت  
تصطاد المرض في القارة السوداء .. ووسط اضطرابات  
سياسية لا تنتهي .. وبيئة معادية .. وأهل متشككين ..  
بطلنا الذي سنقابله يوماً ، وتألفه ، ونتعلم أن  
نحبه هو د. ( علاء عبد العظيم ) .. شاب مصري  
ككل الشباب .. اختار أن يبحث عن ذاته بعيداً وسط  
أدغال ( الكامبيون ) ، وفي بيئة غريبة وأمراض  
أغرب وأخطر لا تنتهي في كل بقعة ..

وفي هذه الروايات نقرأ منكرات د. ( علاء ) ..  
نعيش معه تلك العالم العجيب الذي لم تتجح الحضارة  
في تبديل معالمه ..



سنلقى الكثير من الفيروسات القاتلة .. والسحرة  
المجائنين .. وأكلة لحوم البشر .. والمرترقة الذين  
لايمزحون .. وسارقى الأعضاء البشرية .. والعلماء  
المخابيل ..

سنلقى كل هذا .. ونلقى محاولات طبيينا الشاب عى  
يظل حيا .. وكى يستطيع فى الوقت ذاته أن يظل  
طبييا ..

تعالوا تلحق بوحدة ( سافارى ) فى ( الكامبيرون ) ..  
تعالوا ندخل الأدغال ونجوب ( السافانا ) ونسلىق  
البراكين ..

تعالوا نواجه المرض مع فريق ( سافارى ) ..

www.dvd4arab.com  
Hany3H  
www.dvd4arab.com

## ١- لماذا مات ؟

طبق طائر قرب ( سافارى ) .. من سمع عن أسخف  
من هذا ؟

\*\*\*

أقصى ما تقارفه الضحية هو أن تغدو جلاذا ، خاصة  
لو كانت تعرف يقينا أنها ستكون جلاذا ..

ما علاقة هذا بقصة اليوم ؟ لست متأكدا ، لكنه قول  
يوحي بالعمق والحكمة ، فمن منا يأسلادة لايحب أن يبدو  
عميقا حكيما ، ولو للحظات ؟ إن هذا منعش فى بركة  
الغباء والحمق التى نعيش فيها كل يوم حتى الذقون ..

\*\*\*

هذه هى وحدة ( سافارى ) ..

لا بد أنكم الآن لن تضلوا الطريق فيها ، بعدما عشتم  
داخلها خمس عشرة مرة .. لا بد أنكم تعرفون هذا  
المنخل المفضى إلى الاستقبال ، وهذه الردهة التى تقود  
إلى مكتب المدير . هنا المعمل حيث تنتظرني ( هيلجا )  
لتجرد عظام ساقى من لحمها ، وهنا يتربص ( باركر )

نائب المدير ليخرب بيتي بشكل ما ، وهنا مقلب جديد  
ينتظرني من ( أبرهام ليفي ) .. هنا تستعد ( برنات )  
بضحكتها الصبوح التي ( تصنع يومى ) كما يقول الإنجليز ،  
وهنا ( بودرجا ) المذعور دائما الشاعر بالغين أبدا ،  
يحمل لى آخر أخبار الأرواح .. ( بسمام ) الأتيق اللامع  
دائما كأنما فرغ فوراً من حمام منعش ، و ( أثر  
شيلبي ) العظيم - المشكلة أنه أكثر من يعرف هذا - يقف  
بالقليلون فى فمه ، متقمصا شخصية بارونات الطب  
العظام من القرن الماضى ..

وهؤلاء هم المرضى .. وأنتم قد لاحظتم أنهم يحملون  
نفس السمات تقريبا .. فى ( مصر ) كنا نعرف مريض  
الكبد على الفور وهو على مدخل المستشفى ، وكنا نعرف  
الطفل الذى لم يأكل ولم ينام منذ سنتين .. هنا يمكنك  
بسهولة بالغة أن تحدد مريض الملاريا ومريض الكالا آزار  
بمجرد رؤيته .. المشكلة هى أن أمراض الحضارة عرفت  
سبيلها إلى هؤلاء القوم ، وصار لديهم مرض السكر  
واتسداد الشرايين التاجية ، بالإضافة إلى هدية ( سان  
فرايمسكو ) القلبية التى لن ينساها للعالم أبدا : الإيدز ..

وهذا أنا .. العبد الفقير المعترف بالعجز والتقصير :  
( علام عبد العظيم ) .. كما ترون ، فإن وجهى مازال كما

هو .. وإن ظهرت بعض شعيرات بيضاء في مفرقي ..  
كلا .. ليست علامة شيخوخة .. لا تقولوا هذا .. لقد  
ورثت الشيب المبكر من أبي ، وهو الذي كان رأسه بلون  
الثلج في سن الثلاثين . ليس لهذا علاقة بتوترى  
ولا حنينى إلى البيت ، ولا كل الأهوال التى أراها كأنما لم  
يعد طبيب سوى فى ( سافارى ) كلها ..

يقولون إننى وسيم .. إحداهن قالتها لى - ولم تكن  
هى المطلوبة للأسف - فاحمرت أنفائى كالأطفال ، ورحت  
أعبث بطرف حذائى فى الأرض .. ربما كنت كذلك أو لم  
أكن .. لكننى ( رجل امرأة واحدة ) ، وهذه الواحدة - كما  
تعلمون فأنتم لم تعودوا أغراباً - لم تظهر لى أكثر من  
الصداقة ولا يبدو أنها ستتغير مع الزمن ..

يقولون إننى مربع لتعلم وبارع .. أنا متأكد من الصفة  
الأولى ، لكنى أجد عصراً بالغاً فى تصديق الصفة الثانية .  
أنا بارع ؟ لا أعتقد .. والدليل هو الموقف التالى ..

\*\*\*

رأيت الشاب فى الثانية بعد الظهر ، وتوفى بعد هذا  
بيومين ..

بالطبع لم أكن أعرف ولا هو كان يعرف ، وإننى

لأتمنى لو عاد الزمن إلى اللحظة التي كان ينبض فيها  
بالحياة كي أدقق ، وأجيب عن كل الأسئلة التي أ طرحها  
على نفسي الآن فلا أظفر بإجابة ..

اسمه ( أحمدو ميتابوا ) .. السن عشرون عامًا  
ونيف .. هو من الأهالي هنا ، كما هو واضح من الاسم  
وبالتحديد من نسبة الـ ٢٢ ٪ للمسلمين التي ذكرتها لك  
من قبل .. يوشك المسلمون أن يكونوا مقصورين على  
شمال البلاد ، أما المسيحيون فيتمركزون جنوبًا ..

الفتى يعانى أعراضًا لا يمكن أن تتجاهلها باعتبارها  
التهاب زائدة دودية .. طبعًا هناك السؤال الشهير الذى  
وقع فيه كل طبيب مبتدئ : هل هذا التهاب زائدة أم  
مغص كلوى اليمن يتركز فى الحالب ؟ لكنى لم أعد مبتدئًا ،  
ويمكننى - بلاخطأ كبير - أن أعلن أن هذا التهاب زائدة ..  
وأنا أطلب الفحوص اللازمة وأخطر الجراحين . إن عد  
كرات الدم البيضاء مازال من خير الأساليب المتبعة  
للتأكد من التشخيص ، برغم أن الطب الحديث يزيد  
الأمر تعقيدًا كل دقيقة كالعادة ..

الفتى سيموت بعد يومين .. لا أحد يعرف هذا سوى  
خالقه .. واليومان الآن نقصًا بضع ساعات ، بينما فريق  
الجراحة المكون من الطبيب الإنجليزى الشاب ( مايكل



لندون ) ومساعدته الكاميرونى ( بول بيبا ) ، وطبيبة  
التخدير الألمانية - أو لعلها نمساوية - ( هانا ) ، يعملون  
فى سرعة ودقة على استئصال الزائدة اللحماء المزعجة .

لا تتوقع أسماء كبيرة هنا ولا مهارات جراحية غير  
عادية ، لأن جراحة الزائدة ستظل عملاً روتينياً يؤديه  
أى جراح .. هم فقط يتنافسون فى قصر الوقت والجرح  
الذى يستخرجون من خلاله الزائدة ..

كل شيء تمام .. تشخيصى دقيق .. الزائدة ملتهبة  
كالحجيم منذرة بالويل .. حالة المريض معتارة .. مهارة  
الجراح لا شك فيها وكذلك طبيعة التخدير ..

كل هذا صحيح ، لكن الفتى سيموت بعد أقل من  
يومين .. ها هو ذا الموت يدخل العنابر ويستعد .. إنه  
ينزع عبايته السوداء المبتلة بالدماء والدموع .. يخلع  
قفازيه اللزجين .. يضع كل هذا على مشجب فى ركن  
المكان .. يبحث عن مقعد مريح ، ثم يجلس وهو ينظر  
إلى ساعته فى ملل .. ما زالت أمام الفتى بضع ساعات  
يقضيها فى الإفاقة .. فى تبادل الدعابات مع الممرضات ..  
فى تلقى التهاتى بالسلامة .. بعد هذا سينهض الموت  
ليقف عند رأس الفراش وينتهى كل شيء ..



ولم يكن أحد يرى هذا .. لم يكن أحد يستطيع أن يرى الموت جالسا في مقعده يراقب في ساء مخافتنا وثرثرتنا التي لا تنتهي ..

بعد ست ساعات زاره الجراح فقط ليطمئن ، وكان الفتى بجيد الإنجليزية ، وقد سر الجراح لهذا لأنه سئم - مثل أكثرنا - كل هذه الأفعال الفرنسية المعقدة ، وتقاليد ضم الشفاء شديدة التعقيد .. جلس يثرثر مع الفتى فهذا له سريع الخطر نكيا للغاية .. وانصرف بعد ربع ساعة شاعرا بأنه لنجز الكثير إن كتبت جراحة الزائدة الدودية تمثل الكثير ..

\*\*\*

لقد بدأ العد التنازلي ..

هذا الفتى سيموت بعد قليل .. لا مفر أمامه ..

عند مساء اليوم الثاني بدأ يتشنج .. بدأ جسده ينتصب كقوس في الفراش ، وراح الزبد يخرج من بين شفتيه ، وكان الطبيب المقيم في قسم الجراحة حديث الخبرة ، فلم يخطر له إلا أن هذه حالة نقص كالسيوم - لسبب يطمه الله وحده - أهو كزاز من جرح متلوث .. وهكذا قام بما يستطيع عمله : حقن المريض بالكالسيوم ومضاد للتشنجات .. ثم ثبت قناع الأوكسجين وانتظر ..

لكن الأمور ازدادت سوءاً ، وبدأ أن التشنجات لا تزول ، وهكذا أرسل يستدعى مختص الأمراض العصبية ، وكانت لهذا الأخير نظرة مختلفة بالتأكيد .. لقد لاحظ تباطؤ نبض المريض ، وارتفاع ضغط دمه ، كما صوب كشافه الرقبع إلى الحذقتين وأبدى رأيه :

- « هذه أوبىما دماغية .. »

والأوبىما الدماغية هي تجمع السوائل فى أنسجة المخ .. وأسبابها عديدة لا يمكن استيعابها بهذه السرعة ، لكن حلها واحد مهما كان السبب .. وممرعان ما بدأ حقن المانيتول الوريدى ، وإعطاء حقن الديكساميثازون ..

لكن الأمور كانت تسوء بسرعة غير مسبوقة ، والموت قد ارتدى قفازيه وعباعته ووقف عند رأس الفراش الآن ..

وجاء ( آثر شيلبي ) يركض .. فألقى نظرة على المشهد ولاحظ نوعية التشنجات ، ولاحظ أن المريض صار فى غيبوبة تقريباً .. رفع خصلة الشعر الرمادى التى غطت إحدى عينيه وقال :

- « هذا ليس مرض الكزاز بالتأكيد .. هل هو التهاب

المخ الحاد ؟ »



والموت قد ارتدى قفازيه وعباءته ، ووقف عند رأس الفراش  
الآن ..

لا إجابة .. لأنه لو كانت هناك إجابة لنكرها ( شيلبي )  
نفسه ..

اقترح أحقق أن يأخذوا عينة من السائل النخاعي  
الشوكي ، لكن ( شيلبي ) رفع كفه في عصبية وقال :  
« ليس في حالة أوليما الدماغ .. إن هذا سيقفله  
دون مقدمات .. »

بارع هو ( شيلبي ) .. حويط هو مختص الأمراض العصبية ..  
حذر هو الطبيب المقيم .. لكن للموت أكثر براعة وحيلة  
وحذرا .. وقد قام بحركته الأخيرة في هدوء ، ثم غادر  
المكان وهو يضم طرفي عبايته على صدره .. هناك طفل  
في الجناح المجاور ، عليه أن يقف عند رأس فراشه  
الآن .. لا وقت بضيع .. إن البيزنس هو البيزنس ..

ووقف الأطباء يتبادلون النظرات في حيرة ، ثم قال  
( شيلبي ) :

« لقد فقنا هذا .. عسى أن يجد التشريح أجوبة  
ما .. »

\*\*\*



## ٢ - كدت أنطق

انتهى اليوم الخامس المتبقى على وفاة الطبيب  
البلجيكية ( إيلودي مولان ) ..

\*\*\*

من حقاك - أظال الله عمرك - أن تموت في بساطة  
في أي مكان في العالم ، ماعدا في وحدة ( سافاري ) .  
لا بد من تفسير مرض .. ولابد أن يتعلم الطب جديداً من  
وفاتك هذه .. كما لابد أن نحاسب المخطئ لو كان هناك  
واحد .. هكذا - كما يحدث دائما - حملوا اللجثة إلى المشرحة  
حيث ( جيديون ) الطبيب الذي يعرف ويفعل كل شيء بعد  
فوات الألوان حسب تصنيف الأطباء القديم ..

لم أتابع أما تفاصيل الموضوع ، برغم ولعي الخاص  
بالتدخل فيما لا يعني ، لأنني نقت الأمرين من هذا  
للولع في الفترة الأخيرة أولاً ، ولأنني لست مهتماً بمعرفة  
سبب وفاة كل مريض هنا .. سمعت للخبر عرضاً من  
إحدى للمرضات ، فقلت لنفسى : هذه حالة أخرى لم  
تكن كما حسبنا .. ( علاء ) يا صديقى .. أنت لست

بالبراعة التي تحسب أحيانا أنك تملكها ، وهم أيضا  
ليسوا بارعين .. لقد أخطأ الجميع لكن هذا لا يعزيني في  
شيء ..

كنت في هذه الآونة قد أزمعت أن أخوض حربي  
الخاصة في موضوع حان وقت اللبث فيه ..

كنت جالسا في كافيتيريا ( سافاري ) أطلع إحدى  
الصحف الكامبوتية المطبوعة بالفرنسية ، وكان هذا  
حين مرت ( برنات ) .. كانت تحمل الصينية المصفاة  
وقد بدا من كميات الطعام أنها تشعر بشبهة طيبة . هزت  
رأسها ورسمت تعبير ( التشنج ) العتيد على وجهها ،  
ثم جنبت مقعدا وجلست .. مدت رأسها الصغير ترى  
ما هذا الذي لقوه ، ثم قالت باسمه :

« آه ! هذا الهراء عن الطبق قرب ( أنجلوتيري ) ؟ »

وصفرت بفمها النفحات الخمس المميزة للطبق الطائر  
في فيلم ( سبيلبرج ) للشهير ( لقاءات لصيقة من النوع  
الثالث ) ، فقلت لها بغباء :

« لا أعرف أي شيء عن الموضوع .. »

هزت رأسها في مكر وقلت :

- « لقد عرفته بالكامل الآن ! طبق طائر ( أجاوندري ) ..  
لقاءات لصيقة من النوع الثالث .. ماذا تريد أكثر من  
هذا ؟ »

نظرت إلى الجريدة في فضول ، وقلت دون أن أجد  
الفرصة الكافية للتركيز :

- « متى ؟ »

- « منذ أسبوع .. أين كنت أنت ؟ في ( منغوليا )  
على ما أظن ؟ »

- « وهل خرج من الطبق رجال خضر لهم أجهزة  
استشعار على الرعوس ؟ »

- « تقريبًا .. الفارق البسيط هو أنهم كتوا حمر  
قلون ، وكتوا طوال للقامة ، وقد رشوا مادة لزجة ما  
على المشاهدين .. ثم هوب ! ركبوا طبقهم عاكسين إلى  
الوطن الحبيب .. »

- « ومن كان المشاهدون ؟ »

- « من تظن ؟ مجموعة من الأهالي الوطنيين الذين  
امتلك عقولهم بأساطير السحر والأرواح ، وكتوا هم

الشهود على ما حدث .. لا تتوقع أن تجد من بينهم خبير  
اتصالات كونية أو عالم فلك .. »

فكرت قليلاً في الأمر ثم قلت لها :

- « هل تريدان ؟ إتني لثقي بشهادة هؤلاء القوم ..  
لأنها بها أكثر من شهادة أوروبي أو أمريكي .. »

- « لماذا ؟ هل هو التعصب ضد الرجل الأبيض ؟ »

- « لا .. بل لأنهم أرض بكر لم تتسمم أفكارها بكل  
أفلام الخيال العلمي و ( ملفات إكس ) وما إلى ذلك .. إنهم  
لا يملكون قاعات مسبقة ، ولا يملكون خلفيات محددة سلفاً ..  
هؤلاء القوم لا يعرفون بالضبط ما عليهم أن يتوقعوه ،  
وحين يقول أحدهم إنه رأى طبقاً طائرًا يخرج منه رجال  
حمر ، فبأنه يقول في الغالب ما رآه بالفعل .. بينما يمكنني  
أن أرتاب مليون مرة في كلام مشابه بقوله رجل قرأ  
قصص الخيال العلمي وشاهد أفلام الحرف (ب) .. »

فكرت في كلامي قليلاً ، وأبطلت من حركة المضغ ثم  
قلت :

- « ربما كان كلامك على شيء من المنطق .. إن من  
لم ير سيارة لا يمكن أن يتخيل حالت طريق .. ولو وصفه



فهو غالباً صادق .. ولكن دعك من هذا ولنتحدث عن  
أمور أكثر جدية .. »

والحظات تلاقى عيننا وكل منا يبحث عن الشيء  
الجديد الذى يقال .. طالت الفترة حتى أشعرتنا بالارتباك ،  
لكننى أدركت أن روحنا الآن على نفس الموجة ، وأن  
ظاهرة الرنين التى درستها فى الفيزياء منذ زمن مسحيق  
تعن الآن عن نفسها .. رنقات ( هلمهولتز ) .. أنكر هذا  
الاسم .. ماذا كان معناه .. ؟ الآن هى - ( برنات ) لارنقات  
( هلمهولتز ) - تنعم للنظر إلى أعماق أعماق روحى ،  
وترى بوضوح الإجابة عن كل الأسئلة ، حتى تلك التى  
لم تطرح بعد ..

كنت الآن ضعيفاً متهاكناً .. كتنى مريض قلب معدوم  
للحيلة لا يملك حتى القدرة على رفع يده متوسلاً ..  
العرق البارد يغمر جبينى ، وأنفاسى صارت معدودة لها  
ثمن وعليها ضريبة وجمارك .. كنت الآن طفلاً لا يملك  
إلا النظر متوسلاً إلى ماما التى تعرف كل شيء ..

الآن يحمر وجه ( برنات ) .. تسطيل أهدابها لتغطى  
المقدمة .. تقول لى فى وهن :

- « لا تفعل يا ( علاء ) .. أرجوك .. »

ألهمت لنا واستجمع بعض الأنفاس المتبقية في الفضاء  
للميت برلتي ، وأهمس :

- « أفعل ماذا ؟ »

- « لا تفعل ما اعتقد أنك تتوى قوله .. هذا سيعقد  
الأمور صلتى .. »

لا داعي للمراعاة .. إنها فعلاً ترى كل تضاريس  
روحي ، وترى ومضات الأفكار الكهربائية ، وهي تعتبر هذه  
للخلية العصبية أو تلك في قشرة مخي ..

- « ولـ .. ولماذا لا أقوله الآن ؟ »

- « لأنك لن تستطيع أن تتراجع عن هذا أبداً ولن  
تملك الاعتذار عنه .. وبعدها لن تعود الحياة كما كانت ..  
إن لحظات من الصمت هي ما نحتاج إليه الآن .. »

كانت أنفي اليمنى تتحرك الآن حركة عصبية مستمرة  
لا أملك للسيطرة عليها ، وقبضتي على الجريدة قد أخلقتها  
إلى منديل ورقي مهتل .. لكنني فعلت كما طلبت ( برنات )  
وراحت أتنفس بصعوبة من أنفي كما يفعل مدمنو  
الكوكايين .. و ...

وهنا دوى صوت الاستدعاء من مكبر للصوت الذى  
يتكرك بموقف ( النتائج ) ..

الدكتورة ( برنات جونز ) مطلوبة فى قسم  
الأطفال حالا .. الدكتورة ( برنات جونز ) مطلقا ...

ابتسمت لى مشجعة ، وجرعت ما يكوبها من مياه  
غالية على وجه السرعة ، ثم جففت لهاها بمنديل ورقى  
وهرعت تلبى النداء ..

أين يا ترى تلك الأحلام التى ألفت صدرى لثوان ؟

\*\*\*

- « كلها قد ماتت »

- « ولماذا يا سيدى ؟ »

- « وكيف لى أن أعرف ؟ إن المعجزة الحقيقية هى

أن يظل هذا الحيوان حيا بجهز مناعى هش كهذا .. »

كان القيصر - كما يطلقون عليه سرا - أو المستاذ

المناعة الأسمى العظيم ( هاتز شيفرن ) يقف وسط

لقفاص خنازير ( غينيا ) واضعا قبضتيه فى خصره ،

يتأمل فى حمرة وضيق عشرات الجثث الصغيرة

المكومة فى لقفاصها ...

بالطبع كانت النظرة في عينيه تقول : « للخير على  
 قدوم اللواردين » باعتبار هذا أول يوم لى للعمل فى  
 وحدته .. ولحسن الحظ أن هذه الوفاء الجماعية تمت  
 قبل أن اجتاز المعمل ، وإلا لاتهمنى بدس السم لها ، أو  
 لئنى حسود أو ما إلى ذلك .. يعرف القراء الذين لهم  
 صلة بالعلوم أن خنازير غينيا ليست خنازير ، ولكنها  
 قوارض تنتمى إلى الجنس المسمى ( كافيا , Cavia ) ،  
 وهى بالطبع كائنات وديعة باتمة عانت الكثير من كون  
 الإنسان وجدها البديل الرخيص غير الخطر للقردة . وقد  
 هلكت أمم عديدة من هذه الخنازير بداء الجمرة الخبيثة ،  
 كما أن أعدادا مهولة هلكت منها فى قُتاء تجارب ( باستير )  
 على بكتريا الاضمحلال أو الدرن .. للمشكلة هى أن جهازها  
 المناعى ضعيف رقيق ، وأن الإصابات تبدو أوضح إذا  
 ما قمت بتشريحها ..

ارتدى الأمتى قفازا واقيا وللتقط أحد الكائنات  
 الفرثية الميتة من قفصه ، وقال لى :

- « ستكون أول عملية تقوم بها هى تشريح هذا  
 المخلوق المتص .. أريد أن تحدد لى سبب الوفاء بدقة ،  
 ويعنى هذا أن تقوم بتشريح ست جثث عشوائية .. »



قلت له شاعراً بتوتر المسئولية :

- « وماذا عن المزارع ؟ ماذا عن تحليل السموم ؟ »

- « ستجد كل ما يلزمك هنا من أقاييب اختبار وأطباء

( بتري ) .. إن عينات الدم تؤخذ من القلب مباشرة كما

تعلم .. لا تنس أن تضع كمامة وتتأكد من التخلص من

بقايا التشريح في الفرن .. »

وهكذا وجدت نفسي أجلس أمام منضدة صغيرة ، وقد

ثبتت للجنة الصغيرة المشعرة بالدهابيس إلى طبقة من

الشمع ، وبالمبضع رحت أشق الأنسجة عن جدران

البطن .. ليس هذا عسيراً .. إبنى بطبعي جراح أعشق

الأفعال ، لكنني أخشى أن يفوتني شيء مهم فلا ألاحظه ..

حقاً لم يكن هناك ما يريب .. كل شيء بالحجم الطبيعي

وفي مكانه الصحيح .. قمت بتصنيف بعض عينات أرسلتها

إلى المعمل .. عينات بكتريولوجية ، وعينات للبحث عن

الفيروسات ، كما طلبت بعض فحوص الدم .. وكررت هذه

المهمة ست مرات كما طلب الرجل ..

عبدت إليه حيث كان عاكفاً مع بعض معاونيه على

فحص بعض الشرائح تحت مجهر متعدد العدسات .. فقلت  
له : إتنى فرغت من التشريح وإتنى ...

- « لا تقل شيئاً .. »

قال لى دون أن يرفع عينه عن العدسة :

- « أريد تقريراً مكتوباً وممهوراً بإمضائك .. إتنا هنا  
لا نملك قاعدة عمل إلا الدقة التامة .. لو أردت أن تكون  
عالم مناعة فعليك بالدقة التامة فى كل شىء .. »  
هزئت راسى موافقاً ..

ومن قال له إتنى أرغب فى أن أكون عالم مناعة ؟



## ٣ - عن اللقاءات اللصيقة وأنيميا شلل النخاع

قتهى اليوم الثالث المتبقى على وفاة الطبيبة البلجيكية  
( إيلودى مولان ) ..

\*\*\*

لم يكن ( شيفرن ) سمجاً قاسياً كما يبدو من طريقة  
كلامه ، لكن حادث فقد خنازير غينيا جعله ضيق الصدر  
نالف للصبر . وبشكل ما كنت أفهمه ..

كنت أعرف أن أياماً سوداء تنتظرني هنا فى قسم  
المناعة ، لكنى بالتاكيد آخر شخص من خلق الله يمكن  
أن يهتم بتلك المصطلحات الغامضة ، وأنواع المستضدات  
والخلايا التى تحمل مستقبلات CD 4 أو CD 8  
والإنترلوكين .. إلخ .. كل هذا العالم للمعقد كان يثير  
نفور الأطباء التقليديين ومخبريتهم ، حتى ظهر لنا مرض  
مناعى شنيع اسمه الإيدز .. عندها هرع الجميع إلى  
كهنة علم المناعة فى محرابهم ، يجثون على ركبهم  
ويسألونهم أن يشرحوا لهم أسرار هذا الكهنوت الغامض ..

الحق إن حقبتى للثماتيتات والتسمينات جعلنا علم للمناعة  
أهم علوم الطب ..

★ ★ ★

إلى أن نعرف نتائج التشريح ، رحت أقضى يومى  
بانتظام ما بين العمل للمثير للاكتئاب مع ( شيفرن ) وبين  
الاكتئاب ذاته وحدى .. الاكتئاب الخام الذى يمكن أن  
تذيب منه قطعاً فى مياه الشرب ، لتجعل أمة من البشر  
تقرر الانتحار ..

فى هذا الوقت لم يكن لدى أفراد ( مسافارى ) حديث  
إلا عن خرافة الطبى الطائر الذى شوهد قرب الوحدة ..  
حقاً لم يره أحد من الغربيين ، لكن هذا - كما قلت آنفاً -  
يجعل تصديق القصة أسهل بالنسبة لى .. وكان من  
الواضح أن القصة لن تثبت أن تتدثر كحجر ، ألقى فى  
الماء ليحدث دوائر ودوائر لا تثبت أن تنتهى .. وبينى  
وبينك كان الحجر الذى ألقى فى لجة مشاعرى كفيلاً  
بجعلى لا أبالى كثيراً بآلية أحجار أخرى ..

إن اللقاءات النصيقة من للنوع الأول - كما يعرفها  
د. ( آلن هاينك ) خبير الأطباء للطفلة الأمريكى - هى



لللقاءات التي يرى فيها الإنسان جسمًا طائرًا غير معروف Unidentified Flying Object أو كما يدلُّه الأمريكيون UFO .. ولقد شاعت لفظة UFO وانتشرت لدى العامة إلى حد أن معناها صار (طريق طائر) دون تحفظ ..

اللقاءات للصيغة من النوع الثاني هي تلك اللقاءات التي يترك فيها الطريق الطائر أثرًا ماديًا لا شك فيه .. إن العشب المحترق أو الفصوص المهشمة تكون كافية غالبًا للبرهنة على أن هذا النوع من اللقاءات حدث ..

اللقاءات للصيغة من النوع الثالث هي اللقاءات موضوع الجدل ، والتي يخرج فيها من الطريق الطائر رواد فضاء حقيقيون - بقرون استشعار أو بدون - ليتكلموا مع أو يختطفوا البشر .. وقد كان فيلم (سبيلبرج) الشهير الذي يحمل نفس الاسم هو بداية السيل في عودة حمى الأطباء الطائرة ، وهي حمى انتشرت في الخمسينات وألهمت القصص المصورة ، والأفلام العلمية الرخيصة التي يسمونها أفلام حرف (ب) ..

بعد هذا لعب مسلسل (ملفات إكس) وأفلام من طراز

( يوم الاستقلال ) دوراً عظيماً في جعل هذه التخرصات  
أمراً لا شك فيه ، وهو نموذج جيد للطبيعة حين تقلد  
الفن كما يقول ( أوسكار وايلد ) . من الآن فصاعداً لن  
يسمح لأحد للفضاء بأن يخلو من كائنات عاقلة ، ولن  
يسمح لأحد لهذه الكائنات بأن تتنقل إلا بالطباق الطائرة أو  
تقتل إلا بالليزر . من الآن يمكن أن يقتلك أى أمريكى  
لو شككت للحظة في أن الحكومة الأمريكية تخفى طبقاً  
طارقاً وجثث كائنات فضاء ، في تلك البقعة العسكرية  
السرية المعروفة بالمنطقة ٥١ ..

كان الأهلى إذن يتحدثون عن لقاءات لصيقة من  
النوع الثالث ، ولم يكن أحد من الغربيين مستعداً لأخذ  
كلامهم بجدية ، خاصة أن الطبق الطائر لم يترك أية آثار  
ملموسة .. أضف لهذا أن تطاقت ظهور الأطباق الطائرة  
حول الأرض معروفة ، ولا يمر أحدها بالكاميرون كما لا يمر  
أحدها بمصر ..

وهكذا تجاهلنا القصة وقتها كما نتجاهل أشياء أخرى  
كثيرة ..

\*\*\*

انتهى اليوم للتقى المتبقى على وفاة للطبيبة البلجيكية  
( إيلودي مولان ) .. -

فى هذا الوقت لم تكن تعلقى إلا أعراض التهاب  
بالحلق مألوفة وعالية جدًا .. وقد أعطت لنفسها بنفسها  
بعض الأمبسللين ، لكن الأمور لم تغد أفضل .. ارتفعت  
درجة حرارتها ، وصار تنفسها عسيرًا ، وفى النهاية تم  
إيخالها كمريضة فى قسم الأمراض الصدرية ، وقد  
اعتبرت مصابة بأحد الأنواع غير النمطية من الالتهاب  
الرئوى ..

بقى لها يوم واحد الآن فى ( سافارى ) لكن أحدا لم  
يعرف هذا بالطبع ..

كانت نتيجة فحص الدم محيرة .. إن الخلايا البيضاء  
منخفضة إلى حد لا يصدق .. وهكذا كان تشخيص الحالة  
الأساسى هو الالتهاب الرئوى ، نجم عن نقص مناعى  
غير مفهوم .. وقد قاموا بعمل الفحوص للترمة ،  
وأعطوها مظلة من المضادات الحيوية لمنع تصال عدوى  
أخرى ، وكتبوا فى سجلهم إلى حقنها بالغلانر التى  
يلتقر لها دمها أو بعض العوامل المنشطة لمستعمرات

للخلايا البيضاء ، لكنهم نسوا شيئاً مهماً : لقد انتهى  
اليوم الثاني فيما تبقى لها من عمر ، ولم يعد إنقاذها  
ممكناً ..

لم تتعجب كثيراً ، لكنها غابت في صمت في ذلك العالم  
الذى لم يعد منه أحد ولم يجب عن أسئلة ..

بالطبع توجد أسباب كثيرة لهذه الحالة .. إن الخلايا  
البيضاء في جسمنا هي أفراد جيش المناعة الذى يقاوم  
للعوى بكل صورها .. صحيح أن الأمور أزدادت تعقيداً  
وتحذلقاً ، لكن تظل هذه هي الحقيقة البسيطة المجردة  
منذ اكتشافها ( متشكوف ) عام ١٨٨٥ حتى اليوم ..  
حين تتدهور الخلايا البيضاء أو ينقص عددها ، يصاب  
الجسم بكل شيء ممكن ، وتغزو عطسة الرضيع بمثابة  
قذيفة مدفع بالنسبة للمريض .. هذه إذن قصة بسيطة  
جداً تتلخص في أن خلايا الطبقة البيضاء نقصت بشكل  
غير مفهوم ، ولكن لماذا نقصت ؟ تلك هي المسألة ..

وفي اليوم التالي لهذا التسارع المحزن ، وبينما  
( سافارى ) كلها في حالة من الاكتئاب العام ، جاءتني  
تقارير موت خنازير ( غينيا ) .. ماذا تتوقعون كان فيها ؟

بالتضبط .. « كُنت نتيجة فحص الدم محيرة .. إن الخلايا  
البيضاء منخفضة إلى حد لا يصدق » . وقد اقترح  
المعمل أن يكون سبب ما حدث هو أقيما مثل النخاع  
الحادة .. أما بالنسبة لوجود فيروسات أو بكتريا أو  
ما يسميه المترجمون ( أخماج ) لسبب لا أعرفه ، فقد  
كُنت النتيجة سلبية حتى هذه اللحظة .. وهي لحظة  
مبكرة على كل حال ..

حملت الأوراق ملفوفاً إلى القيصر ( شيفرن ) ، فنظر  
فيها ثم نظر لى .. وأعاد القراءة مراراً ..

أخيراً قال لى ، وقد بدأت يده تهتز تفعالاً :

- « آى آى .. هذا يبدو مهماً .. مهماً جداً .. »

ثم طوى التقارير ونسها فى جيبه ، وقال :

- « ( بارتلييه ) يجب أن يرى هذا وأن يكون له

رأى ما .. »

قلت فى عدم فهم :

- « يمكنكى لنا أن لقايله وأن أنقل له الصورة .. إن

علاقنا .. »



وكانت نتيجة فحص الدم مخيرة .. إن الخلايا البيضاء  
منخفضة إلى حد لا يصدق،



قاطني باسمًا للمرة الأولى منذ أيام :

« أعرف .. لكن وجهي للعالم سيجعله يهتم  
أسرع .. ويكون اهتمامه أكثر عمقًا وفعالية .. »

وما لم يقله هو أن ضريبة الشبب التي يجب دفعها ، هي  
كون لا أحد يصدقهم بسهولة .. إن تهمة الاستهتار أو  
الخفة أو الخرق تحوم حول رعاوسهم دومًا ، وأنا - طيلة  
حياتي - أعطى انطباعًا بأنني أصغر سنًا من الحقيقة ..  
حتى بالشعيرات البيضاء التي بدأت تغزو مفرقي وأحييتي ،  
أبدو في العشرين من العمر ..

وافقت على فكرته .. وقررت أن أنتظر ..

ليكن حامل هذه الأخبار المزعجة إلى المدير المالي  
شخصًا آخر سواي ، فقط على سبيل كسر العادة للممة ..

\*\*\*

وفي الساعة مساءً استدعيتي (بارتلييه) إلى مكتبه ،  
ليأولمني .. لماذا ؟ لا أدرى بالضبط .. لكنها صارت هوية ..  
وبشكل ما كنت أعرف أن هذا سيحدث ..

\*\*\*

## ٤ - نحن نفكر في الشيء ذاته ..

توقعت أن يكونوا واجمين كأنهم أركان حرب جيش تمت إبادته .. ولم يخب ظني كثيراً .. كان ( بارتلييه ) جالساً إلى مكتبه وقد أراح نفسه المكتتزة إلى قبضتيه ، وكان ( باركر ) جالساً وقد وضع ساقيهما على ساق بطالع للتقارير ، وكان ( شيفرن ) واقفاً في حماس ، ويداه في جيبى سرواله كلما كان يخوض موقعة مهمة . وبالطبع كان لابد أن تجد ( آثر شيلبي ) يتسم في ثقة كأنه كان يعرف أن هذا سيحدث .. و .. ماذا ؟ ( جيديون ) هنا أيضاً وهو لا يطيق ( بارتلييه ) ؟ غريب هذا .. واضح أنه أمر جلل إذن ..

- « معاء للخير يا سادة » -

قلتها وانتظرت ما سيقال من كوارث لا أعرف ما هي بالضبط ..

أشار لي ( باركر ) كي أجلس في مقعد ما هناك ، وقال دون أن ينظر لي :

- « د. ( عبد العظيم ) .. أنت من طلب هذه التقارير الخاصة بخنازير غينيا ؟ »

نظرت إلى ( شيفرن ) وقالت :

- « بناء على أوامر البروفسور ( شيفرن ) .. نعم .. »

- « ثمة مشكلة صغيرة هي أن التقارير تتشابه بشدة مع تقارير الطببة البلجيكية المتوفاة .. »

- « أعرف يا سيدى .. لكننى لم أعرف أنكم قمتم بتسريحها .. »

- « لم نفعل .. ثمة اعتبارات إحصائية وسياسية منعنا من ذلك .. لكن لدينا تقارير ما أجرى لها من أبحاث قبل للوفاة .. »

هنا دق جرس غامض فى ذاكرتى .. تذكرت نقطة بالغة الأهمية .. قلت :

- « ومريض الزائدة الكامبرونى الذى توفى بلا تفسير واضح يا سيدى .. هل ؟ »

هنا قلخل ( جيديون ) قللاً :

- « ليس نفس الشيء .. لرى لك ربطت بين الموضوعين ،  
وهذا يعبرنى بقدر ما يثير دهشتى .. لماذا ؟ »

- « الوفاة المفاجئة بلا تفسير .. هذا هو الرابط . »

قال ( جيديون ) وهو يرجع بعض الأوراق فى يده :

- « المريض للكامبيرونى ( أحمد ميتابوا ) توفى من  
جراث تورم عام فى أنسجة المخ .. لا توجد مشاكل فى  
دمه ، ولا شىء يشبه ما حدث للطبيبة وخنازير غينيا . »

سأله فى حذر :

- « هل هو وباء جديد يا سيدى ؟ أعنى مثل الموضوع  
( العين التى تنزف دماً ) أو الحميات النزفية ؟ »

هنا تدخل ( بارتلييه ) استاذ الفيروسات القديم وقال :

- « حتى هذه اللحظة لم يظهر لنا شىء .. لكننا نواصل  
البحث .. ثمة احتمال لا بأس به أن هذا فيروس جديد  
تسرب إلى ( سافارى ) .. لكن من المؤكد أن مخلفات  
الجنث لم تقتل خنازير غينيا المصلحة .. »

- « وهذا لا يطابق ما هو معلوم من علم الأوبئة .. »

هز كفه بمعنى أنه ليس واثقاً من شىء ، ثم قال :

.. لم تعد القواعد واضحة كما كانت في الماضي .. إن  
لدينا مجموعة جديدة غريبة الأطوار من الفيروسات ،  
ولدينا الليبونات التي هي مجرد بروتين بلا حمض  
نوى ، وبرغم هذا تحيا وتصيب بالمرض وتقتل .. »

قال ( شيلي ) قاهر الاستمتاع بحيرتنا :

.. « لو أن ( باستير ) عاد للحياة اليوم ، لأصابه  
الجنون .. لم تعد هناك قاعدة واحدة ثابتة محترمة .. إن  
العد يحمل لنا كل شيء .. »

هنا عاد ( جيديون ) يتكلم بصوته المميز الأخنف  
قليلًا :

.. « لكننا يجب أن نفكر في كل شيء .. لقد طلبت  
تحليل للبقايا من ناحية الإشعاع .. »

هذا منطقي .. إن الإشعاعات الذرية تدمر نخاع  
العظم حتمًا ، وتسبب أضرارًا شلل للنخاع .. ولكن  
ما مصدرها ؟

قال ( بارتليبه ) في شيء من الحرج كلما ارتكب  
خطيئة أو قال شيئًا بذيئًا :

- « كنت أخشى أن أبدو سخيفاً .. لكنني وجدت هؤلاء  
المسلدة - وكل منهم حجة في علمه - يفكرون في الشيء  
ذاته .. لقد بدأ كل شيء مع ظهور هذا الطبقي للطائر  
الغريب قرب ( ألتجاواتيرى ) .. »

تمسكت حتى لا انفجر ضحكاً .. حتى أنتم تفكرون  
بالطريقة ذاتها ؟

قال ( شولبي ) في برود :

- « على رجل الطم ألا يحتفظ بقتاعات سابقة .. كلنا  
شعرنا بأشياء غير متوقعة بعد ظهور الطبقي .. أو كما  
يزعم الأهالي .. وإتني لأسائل نفسي عما إذا كانت هذه  
حالة من حالات ( لقاءات النوع الثاني ) حين يترك الطبقي  
الطائر أثراً فيزيائية ملموسة .. في هذه الحالة يكون  
الأثر نوعاً من الإشعاعات .. ربما مؤينة أو غير مؤينة ..  
وهي قادرة على تدمير نخاع العظام أو إضعافه .. »

هنا أضيف ( بارتلييه ) مؤمناً :

- « ولربما هو فيروس فضائي مجهول لنا .. أنتم  
تفكرون فرضية ( ميريك ) الشهيرة حول اللقاء الأول  
بين البشر وكائنات الفضاء .. لقد فرض ( ميريك ) أن



قواتين الاحتمالات تجعل فرصة اللقاء الأول بين الإنسان والباكتريا الفضائية ، أعلى منها بكثير بالنسبة لكلينات معقدة عديدة الخلايا .. وبعبارة أخرى : سيكون أول ضيف من الفضاء يجرى إلى الأرض - فى الغالب - نوعاً غامضاً معقداً من البكتريا .. »

تدخل ( جيديون ) بلهجة من يتصحهم بالاً يتركوا لخيالهم العنان ، وقال :

- « لا يجب أن نضع نظرية الطبى هذه كحقيقة مسلمة ، لكننى - كما قلت لكم - لا أرى ما يمنع من أن نرسل إلى هناك من يبحث عن الحقيقة .. »

آههه افهمت اكنت على وشك التساؤل عن دورى فى هذا كله .. ستكون هناك حملة مكونة من ثلاثة أفراد تتجه فى سيارة ، عبر تلك للطرق الوعرة إلى إحدى القرى النائية .. وهناك سيجلس لثلاثهم الكاسافا مع زعيم القرية الذى يضع فيها روث الماشية على رأسه كناية عن علو المكانة .. هذا السيناريو ليس غريباً على أبداً ..

وقال لى ( بارتلييه ) بلهجة من فرغ من مناقشة الأمر :

- « متى تكون مستعداً ؟ »

- « أي وقت يا سيدي .. هل من حقي الرفض ؟ »

- « لا .. هذا أمر تكليف .. سيكون معك ( بودرجا )

طبعاً ، و ... ربما اخترت اسماً ثانياً لم تستقر عليه بعد .. »

قلت له مذكراً وأنا أستاذ للنهوض :

- « يا سيدي .. هل هناك خبر في طب الإشعاع في

( سافاري ) أو على الأقل من يعرف كيف يستعمل عداد

( جاجر ) ؟ »

تبادل النظر مع الآخرين .. هذه وجهة نظر مهمة ..

إن طب الإشعاع فرع مهم جداً من العلوم الطبية ، لكنه

بالتركيد ليس للفرع الذي يمكن أن يوجد هنا في

( الكامبيرون ) .. إن أطباء الإشعاع يعملون في المطاعلات

ومحطات التجارب النظرية ، وليسوا موجودين تحت

الصخور التي ترفعها ..

قال ( باركر ) في نفاد صبر كعاقته :

- « لدينا في قسم الأشعة العلاجية من يمكن أن يكون

أن يكون مفيداً في هذا .. »

وهكذا تم اتخاذ قرار الحملة وبقي أن تقوم فعلاً ..

\*\*\*

عند المساء وصلنا إلى الموضع .. لم يكن بعيداً عن المدينة ، وكنت هناك مجموعة من كواخ عمال للتعدين .. إن التفتيتيوم شحيح في الكامبيرون ، لكنه مازال مورداً للتصلياً مهماً ..

وقف العمال يتأملون هنيكويتز ( مسافري ) بشعارها الغريب غير المؤلف ، ومروحتها تدور فتبعثر الغبار في كل صوب ، وتطير الفصيل المعلق ليحلف في فناء كل كوخ .. لا بد أنهم لم يكونوا أكثر دهشة حين رأوا الطبق يهبط من السماء .. كان كبير العمال هنا يدعى ( ملتجا ) ، وهو رجل شديد السواد في الخمسين من عمره ، أصلع للرأس تماماً ، ويجيد الفرنسية ، وقد لنا منا ليلهم من نحن بالضبط ، وهو لا يلبس فوق سرواله إلا فتلة داخلية متسخة يطل منها كرش عظيم لا يلبس به ..

كان الرجال مندهشين لقدمنا ، وأدركت أنهم لم يحفظوا بزيارة رسمية منذ انتشر خبر هبوط الطبق للطنق .. إن الجهات الرسمية لم تصدق الخبر على

الإطلاق ، وربما لم يأت سوى بعض صحفيين باحثين  
عن خبر مثير في صحفهم ..

قال ( ملتاجا ) وهو يشير إلى مساحة عارية من  
الأشجار على بعد مائتي متر :

- « لقد هبط الشيء هناك .. كان يشبه الطبق تماما ،  
وكانت أضواء حمراء وزرقاء تنبعث منه .. »

صالته ولما متأكد من الإجابة :

- « هل رأيت هذا بعينيك ؟ »

أشار إلى بعض الرجال وقال :

- « كنت في المدينة وقتها ، لكن هؤلاء رأوه .. قلت  
لي ما اسم هذا المستشفى الذي أرسلكم ؟ »

- « ( سافاري ) .. وحدة ( سافاري ) .. »

راح يلوك بعض الأعشاب ويصقها على الأرض ،  
وقال :

- « تبأ لتلك السماء ! إتهم بملكون منها الكثير حقاً ..  
هذا هو ما يتعلمونه في مدارس ( ياوندى ) .. »

أقول إني كنت متأكداً من أنه لم ير الحدث بعينه ،  
لأنك في الغالب حين تحقق في هذه الأمور الغربية  
تكتشف أن أحداً لم يرها رأى العين .. إنما سمع فلاناً  
يقول إن فلاناً سمع أن فلاناً رآها .. والمثير هنا أن  
الأول يكون متحمساً ويصدق كل شيء إلى حد أنه يوشك  
أن يرى المشهد بتفاصيله .. بل إنه ينسى فيما بعد ما إذا  
كان رأى التفاصيل أم سمعها فقط ..

عنت لصال :

— « ومن رأى هؤلاء للرجال القادمين على هذا  
الطريق ؟ »

أشار إلى امرأة سوداء تقف على بعد مترين - زوجة  
أحد العمال كما يبدو - وهي مذعورة مخبولة هستيرية  
ملتثة تماماً كما هو واضح من اتساع عينيها ..

— « تكلمي يا ( حاتمة ) .. »

اتسعت عينا ( حاتمة ) أكثر ، وراحت تحكي بلغة لم  
أبنيها قصة عظيمة جداً عن الرجال طوال القامة حمراء  
اللون ، الذين خرجوا من الطريق الطائر ، وراحوا  
يفحصون كل شيء حولهم ، ثم صوبوا المدافع الغربية  
على الناس ، وأطلقوا منها سيلاً من مادة لزجة قذرة

على كل من أسعده للحظ بالتواجد ساعتها .. بالطبع  
فهمت هذا كله من رئيس العمال الذي يجيد الفرنسية  
وليس ( بويرجا ) الذي لم يكن له داع هنا ..

- « وما هي هذه المادة ؟ »

عانت المرأة تتكلم ، ثم هرعت إلى كوخها .. بعد ثوان  
عانت حاملة ما يبدو كمندبل رأس ، تغطي كله بالمادة  
إياها .. إنه شبيه بمندبل امتلأ بالمخاط ثم جف .. لا أكثر  
ولا أقل .. قطعة قماش مجعدة منشأة ..

كانت القصة بعد هذا كما يلي : لم يحدث شيء .. !

فقط عاد القوم إلى طبقتهم الطائر و .. و ووش ! حلقوا  
تحو المسحاب ، أما الأهلى فهرعوا مذعورين إلى  
لكولخهم وراحوا يفسلون عيونهم وثيابهم من هذه المادة  
الكريهة .. بمزيج من التفرز والذعر يمكن فهمهما ..

- « هل مرض أحد لمسبب غير مفهوم بعدها ؟ »

- « لا أحد » - يقول رئيس العمال - « فيما عدا

الذعر لم يحدث شيء غير عادي .. »

- « ولم يبدأ أحد في التشنج والصراخ أو يشك أحد

من التهاب حلقه ؟ »



- « قلت إن أحدًا لم يمرض .. »

أُشريت إلى ( مارك ) فنى الإشعاع الأمريكى المرافق لنا ، وهو ليس خبيراً لكنه على الأكل يفهم بعض الأشياء عن أمن للمستشفيات .. وهو وجه جديد فى ( سافارى ) أحبه الجميع للطفه وبساطته ، كان قد أخرج أجهزته وبدأ يراجعها ، ثم مط شفته السفلى سلباً وقال :

- « لا أظن أن هناك إشعاعات هنا .. »

- « والصال ؟ »

مرر الجهاز على جسد رئيس العمال المندهبش ، وقال دون أن يعبا به :

- « سليبى .. لكن من اللوارد أن تكون الإصابة بالفة ولا يشعر بها للجهاز .. لابد من أن يصب الهدف بنحو ٤٠٠٠ راد كى نجد هذا بوضوح ، ومن يصب بـ ٤٠٠٠ راد لن يقف هنا يثرثر .. »

فيما بعد عرفت أن الراد هو وحدة قياس الإشعاع ، والراد الواحد هو كمية الإشعاع التى تؤدى لانبعاث ١٠٠ إرج من الطاقة لكل جرام من المادة . إن طلبه الثانوى الصاقرة ينكرون هذه التفاصيل بدقة ، أما أنا فلا أنكر منها إلا أشباحاً ..

المشكلة هي أننا نتعلم أهم الأشياء ونحن في سن  
لا تسمح لنا بإدراك أهميتها . أما الآن فلنا على استعداد  
للتضحية بما في جيبى مقابل العثور على نسخة من كتاب  
الفيزياء للمصف الثالث الثانوى .. مملكتى مقابل كتاب !

قلت لرئيس العمال :

- « دعنا نر مكان الطبق .. »

مشى موكبنا العجيب وسط العيون المحمقة والمندهشة  
والساهرة والغاضبة ، حتى بلغنا فسحة الخلاء التى قيل  
إن الطبق هبط فيها .. كانت رقعة واسعة من الأعشاب ،  
لكنها لا تتميز بشيء خاص .. لا توجد أعشاب مهشمة أو  
محتركة .. لا آثار من أى نوع ..

- « لو كان هذا طبقاً طقراً فهو خفيف الوزن كنبالة .. »

وجئنا للفنى على ركبتيه ، وراح يمرر الجهاز على  
العشب .. لا شيء ..

استغرق مسح الرقعة نحو نصف ساعة ، وفى النهاية  
نهض الرجل ليغمغم بعبارات خفيفة توحى بخيبة الأمل ،  
ثم أشعل لفافة تبغ ونظر لى ، وقال :

- « لا شيء .. من الواضح أن شيئاً لم يهبط هنا أو

أنه هبط ولم يترك أثراً .. »

.. « لا بأس .. »

وكانت معنا ممرضة إنجليزية ، أشرت لها وطلبت أن تبدأ للجزء الثاني من عملية المصح .. لا بد من عينات بول وبراز ودم من هؤلاء العمال .. بالطبع رحبوا بالجزء الأول والثاني من الموضوع ، ورفضوا الثالث بقلطة .. وقد فُشِلنا كلية في إقناعهم بمد أقرعهم لناخذ عينة .. إن الإفريقي - مثله مثل بعض فلاحينا - يؤمن أن كمية الدم في جسم الإنسان لا تتجاوز أربعة سنتيمترات .. بالتالي يكفي ملء المحقن بالدم كي يسقط المريض ميتاً ، وقد خلت عروقه من الدم ..

بالإضافة لهذا كان وجودنا مريباً أصلاً ، بلا تفسير . وما كان هؤلاء يمنحون أي شيء . ببساطة للرجال جاعوا من السماء كي يطلبوا منهم دماً ..

وهكذا لم يعد لدينا شيء أكثر نقوم به .. فتجهنا إلى الطائرة ، وسرعان ما راح المحرك يهدير وبدأت العاصفة من جديد .. وبدأت الأرض تنأى عنا وهي تهتز .. نحن الذين كنا نهتز .. لكن لا تنس النسبية أبداً ..

يمكن القول إن هذه الزيارة لم تكن مفيدة على الإطلاق ..

\*\*\*

## ٥ - ابحاثوا جيداً يا سادة ..

- « بل هي أداة نفى طبية .. »

قلها ( بارتلييه ) وهو يطلع تقريرى .. ثم أرفف :

- « قد عتق لتخبرونا أنه ما من إشعاعات تخرج من هذا الطبق الطائر .. وهذا يعادل فى أهميته قولكم إن هناك إشعاعات .. »

كنت أعرف تعبير ( أداة نفى طبية ) Good Negative الذى يستخدمه الأطباء كثيراً بالطبع ، لكنه لم يرق لى هنا .. يمكننى أن أصف لك مئة موقع ليست فيها إشعاعات فى هذا العالم ، وأولها مطبخ خالتي .. لكن لا أظن هذا يفيد القضية كثيراً ..

سألته ولنا أنهض من مقعدى :

- « هل وجد المعمل شيئاً ذا بال ؟ »

هز رأسه نفياً ، وقال :

- « لا شيء .. لا إشعاعات .. قطعة القماش التى

جلبتها لنا لا تحوى إلا المخاط الجاف .. لو كان هؤلاء الفضائيون قد قطعوا كل هذه السنوات الضوئية ليفرغوا نفوسهم علينا ، فلنا لا أفهمهم على الإطلاق .. »

برغمى ابتسمت ، وقد رافقت نى الفكرة ، ثم أشرت للباب بمعنى ( هل يمكننى الانصراف ؟ ) فهز رأسه أن نعم .. إلا أننى تذكرت شيئاً آخر ، فسألته وأنا واقف :

- « هل خلقت من متوا ملوثة بفيروس معين ؟ »

قال وهو يعقد أنامله أمام ذقنه :

- « نحن فى العادة نجرب أكثر من مرشح .. القصة

هى أنهم يقومون بتمرير تيار من الهواء للمضغوط على العينة ، بعد هذا يرغم هذا الهواء على اجتياز مرشح بكتريا لا يسمح بمرور الأجسام التى هى أكبر من ١٠٠ أنجستروم . لو استطاع الهواء الخارج من المرشح أن يؤذى خنزيراً غنياً ، فمعنى هذا أننا نتحدث عن فيروس لا بكتريا .. حالياً نحن مستمرين فى تجربة المرشحات .. المشكلة هى أن مخلفات الجثث لا تقتل خنازير غنياً ، ومعنى هذا أنه اختبار لا جدوى منه .. »

- « وهل للبقايا مشعة ؟ »

- « بالمسبل العادية .. لا .. لكننا ما زلنا نتقصى هذا

الاحتمال .. »

- « هل تريدون منى مهمة أخرى ؟ »

- « حاليًا .. لا أظن .. »

ثم تذكر شيئًا فقال :

- « هل تشعر باستفادة علمية هنا ؟ كيف حال

دراساتك ؟ هل حقًا يناسبك دور المسمار الذي نصد به

أى ثقب ؟ »

لقد وجد من واجبه أن يبدى بعض الاهتمام بمصلحتي

كي يرضى ضميره - أعترف أنه يقط - وكى لا أشعر

بأننى مجرد (مرمطون) يرسلونه للمهام الخطيرة أو

للشاقة أو المملة .. قلت له :

- « لا بأس .. لكنى كنت أتمنى أن أعمل فى قسم

الجراحة .. بالذات مع الدكتور (سبترقى) .. »

ابتسم ابتسامة صبي مبهور وقال :

« ( سبيلتزلتي ) ؟ كل وحدة ( مسافري ) تريد العمل معه .. ولو اتقنت لهم لما بقي عتدي من يعمل في أي قسم آخر .. يبدو أن الإيطالي للعجوز بارع حقاً ، ويبدو أن لديه ما يجيده غير قرص للمرضات الصناعات .. ليكون يا ( علاء ) .. سأضع هذا في الاعتبار بعد ترتيبه مع د. ( باركر ) .. »

تهدت في رأس .. ما دام الأمر سيذهب إلى ( باركر ) - غراب البين - فلا جدوى .. سيقول كلمته الشهيرة : على الفتى أن يوجد حيث نريد له أن يوجد ، وإلا فإن الكامبيرون لا تفتقر إلى الطائرات العائدة إلى الوطن ..

★ ★ ★

« شمر ذراعك يا دكتور ، واجلس من فضلك .. »

قلتها الممرضة الفرنسية وهي تنزع المغلف عن المحقن .. بدا لي هذا غريباً ، فمن حق كل إنسان أن يعرف السبب الذي يمسحون دمه من أجله .. جلست وشمرت للثياب عن أعلى ذارعي ، وتركتها تلف أعلى الساعد بالتورنيكيه .. ضغطت بسبابتها ضغطة تتحقق من موضع الوريد ، وظهرت الموضع ثم أولجت الإبرة ..





جلست وشمرت الثياب عن أعلى ذراعي ، وتركتها تلف  
أعلى الساعد بالتورنيكية ..

آى ! وتاملت المحقق يمتلى بالدم الأحمر القاتى ، ثم إنها  
أفرغته فى أنبوب اختبار صغير كتبت عليه اسمى ..

فكت الرباط ثم أشارت إلى مجموعة أطباء المناعة  
المنتشرين فى معمل د. ( شيفرن ) ، وأمرتهم بالشىء  
ذاته ..

سأله القصير ( شيفرن ) نفسه وهو يتلقى الإبرة فى  
نראה :

- « آى ! وتقومون بهذا بالنسبة لكل أطباء الوحدة ؟ »

- « نعم .. بل وبعض الفنيين والمرضى كذلك .. »

- « هذا لا يبعث للطمأنينة فى النفوس .. ألا تعرفين  
السبب ؟ »

- « لا .. أنا أفعل ما طلب منى .. »

نهض ( شيفرن ) إلى جهاز الهاتف ، فطلب رقما لا بد  
أنه المدير ، وراح يتكلم :

- « مرحباً .. ما هذا الذى يحدث هنا ؟ لم تخبرنى  
بهذا .. »

وانزل كم قميصه وأعاد ارتداء نصف المعطف الذي  
فتّرعته ..

- « هه ؟ فقر لم عام ؟ غريب هذا .. كم حالة ؟ رباه !  
ها نحن أولاء نعود إلى مازق الإشعاع من جديد .. يجب  
إجراء مسح شامل لكل الأجهزة المشعة هنا .. نعم ..  
أعرف .. ليكن .. ليكن .. أوف فيدر هورين »

ووضع السماعة ونظر إلينا ، ورأى نظرة اللهفة على  
للهم في العيون ، فقال :

- « فقر لم عام .. نقص في كافة مكونات الدم ..  
هذه الأغراض ظهرت حتى الآن لدى أربعة أطباء ..  
و ( هارتلييه ) لا يريد أن يترك شيئاً للمصالحات .. »

صاح أحد الأطباء في حماس :

- « لابد من تصرب إشعاعي في مكان ما هنا .. »

- « لا أجد احتمالاً آخر .. إن احتمالات حدوث تسمم  
كيميائي واهية جداً »

قلت لنا في لا مبالاة كأن الأمر لا يعني :

- « أو هو مرض وبائي جديد لا يعرفه الطب .. »

قال ( شيفرن ) في ضيق وهو يعود إلى عمله :

- « مرض وبلى لا ينتقل إلى خنازير غينيا ولا يحق  
فرضيات ( كوخ ) .. هذا احتمال واه جداً يا بنى .. »  
قلت متفلسفاً :

- « لو أن ( باستير ) عاد للحياة اليوم ، لأصابه  
الجنون .. لم تعد هناك قاعدة واحدة ثابتة محترمة .. إن  
الغد يحمل لنا كل شيء .. »

كانت هذه عبارة ( شيلبي ) بنصها كما قالها فى ذلك  
الاجتماع .. لكن ( شيفرن ) لم يلاحظ هذا ، وأرداد عصبية  
وتوترًا .. وأدركت أن العبارة أثارت اهتمامه لأنه كان  
يفكر فى الشيء ذاته ..

للقبصر يفكر فى الشيء ذاته ..

\*\*\*

لم أعرف للنتيجة بالطبع ، لأننى لست من جهات تلقى  
المعلومات فى ( مسافارى ) ، لكن فيما بعد عرفت ممن  
يعرفون الأشياء قبل سواهم ، أن نحو ١٠ ٪ من العينات  
كانت موجبة .. لا اعتقد أن عينتى بالذات كانت من هذه  
العينات الموجبة ، لأنى لا أشكو من أى نوع من الضعف

للعلم .. لكن الرقم برغم هذا مخيف .. واحد من كل  
عشرة أطباء هنا يعانى نقصاً - بلا تفسير - فى خلايا  
الدم الحمراء والبيضاء ..

ومن جديد عاد للكلام عن الطبى للطائر وغزاة  
للغذاء ..

هذه المرة كان مصدر الكلام هو العامل الكاميرونى  
( جورج ) ، وهو مولع على كل حال باكتشاف أشياء  
غريبة فى القبو .. بالطبع يعرف للجميع أنه يتصل إلى  
القبو لينخن متظاهراً بأنه يفحص الأجهزة .. وكان  
ما وجدته فى القبو هذه المرة غريباً بعض الشيء ..

« كانوا أربعة .. طولهم شنيع حتى إن الواحد  
منهم يبلغ قامتين من قامة الرجل .. لونهم أحمر كالدم  
ياسيدى .. وعيونهم .. عيونهم طويلة تشع نوراً أخضر ..  
كانوا يقفون هناك وينتظرون .. وحين رأونى ، رفع  
أحدهم سلاحاً ما لا أعرف ما هو ، وصوبه على رأسى ،  
لكنى اتحنت ، ثم رحت أركض خارجاً من القبو .. »

تبادل ( باركر ) ومساعدوه النظرات .. هذه الأوصاف  
لمست غريبة ..

- « أحضروا رجال الأمن ومن يقوم بقياس الإشعاع  
في القبو .. »

وبعد دقائق جاء رجلان أمن إفريقيان يحملان مسدسيهما  
وكشافاً ، ثم جاء ( مايك ) يحمل عداد ( جايجر ) ، ودون  
كلام كثير بدعوا يهبطون في الدرج المؤدى إلى القبو ..  
ومن خارج القبو جاء صوت ( باركر ) - كما في لعبة  
المسافة - يعال الرجال :

- « هيه ! هل من شيء مريب ؟ »

هنا رد أحد الرجال :

- « هناك الكثير من الفئران الميتة يا سيدي ! »



## ٦ - لا شيء هنالك ..

بقيت ثلاثة أيام على وفاة الطبيب الفنلندي ( ميهليل  
فلتاري ) ..

\*\*\*

في الكافتيريا ، قابلت ( برنات ) التي كانت تنتهي من  
وجبة الغداء بسرعة توطئة للعودة إلى عملها ..

هزئت رأسي محييا وكنت أتجه إلى ملقاة أخرى ،  
لكنها نائنتى إلى ملقأتها ، وقالت :

- « بالله عليك اجلس .. »

وجلست دافنا رأسي في طبقى ، ورحت ألثم الطعام  
كالحيوت الأرضى ، فسمعتها تقول لى فى شيء من  
مداعبة :

- هذا هو بالضبط ما أتذكرتك منه .. إن الأمور لم  
تعد كما كنت .. الآن تفهم أنه كان الأفضل لو ظللنا  
صامتين !

هزئت رأسي مؤمناً ولم أقل شيئاً .. الحقيقة هي أن هناك خرابيج لا بد من التعامل الجراحي معها بدلاً من إبقائها مزمناً .. وأنا لم أفعل سوى أن حاولت فتح خراجي الخالص ، لكنها لم تعطني الفرصة ..

قلت لي محاولة تغيير مجرى الكلام :

- « هل تعرف أنهم يفتشون القبر الآن ؟ »

نظرت لها في غير فهم ، فابتسمت وأضافت :

- « يفتشون عن كائنات فضائية طولها قامتان ولونها أحمر .. وهي تطلق سائلاً لزجاً على الناس ولا تمتز بالمودة .. »

- « يا للصنف ! »

قلت باسممة وهي تفتح عتبة المياه الفلزية ..  
فرووش !

- « أنا نفسي أرى هذا الرأي .. إنهم خيارى بوجهون اللطيفات في الظلام ولا يعرفون مع ماذا يتعاملون .. لكنني أحب أن أرى كيف تعيش هذه الكائنات التي طولها قامتان في القبر .. إن طول الكائن الوحيد إن قريب



من أربعة أمتار ، بينما ارتفاع سقف القبو متران ونصف  
أو أقل .. لابد أن هذه الكتلنت تمضى محنية أو زاحفة  
طيلة الوقت ا »

- « أنت على حق . هل جن الجميع ؟ »

★ ★ ★

لا لم يجن الجميع ، لأن عدداً ( جاجر ) بدأ يظهر  
نشاطاً زائداً عن المعتاد ، وتوتر الرجال في القبو ..

كان ( باركر ) يجن جنوناً كلما سمع عن فئران ميتة في  
وحدته .. لكنه هذه المرة ابتلع الخبر ، فهذه فئران ميتة  
على كل حال .. لم يكن الوقت مناسباً للوم عامل التطهير ..

من الخارج نادى ( باركر ) رجال الأمن :

- « هيه ا .. هل من شيء ؟ »

صاح أحد الرجال وهو يكتفم أنفه بمنديل ( لأنه حسب  
هذه الطريقة المثلى لاتقاء خطر الإشعاع ، ولا يرى أى  
أحمق نصحه بهذا ) :

- « يوجد نشاط إشعاعي هنا يا سيدى ا »

- « جميل ا هل هو زائد عن الحد ؟ »

- « لا يا سيدى .. محدود جدًا »

- « إذن واصلوا البحث فى القبر عن مصدره ولا تتهوروا .. »

بالطبع كان هو فى أمان بالخارج لا يخاف أثر هذه الإشعاعات على عينيه ونخاع عظمه ومخه وخصيتيه .. وبالتالى كان يرى أن هؤلاء الرجال بطيئون جدًا أغبياء إلى حد ما ..

واصل الرجال بحثهم وسط مواسير التكفلة والتبريد الموجودة فى القبر .. كانت هناك بعض الصناديق القديمة ، وبعض الصناديق التى تحوى أجهزة لم تستعمل بعد ، وقد كتبت عليها تعليمات الشحن الشهيرة مع علامات قليل للكسر وهذا للجانب لأعلى .. إلخ .. بالطبع لم تكن هناك كلانات فضائية وإلا لقلت لك .. لماذا أكنتم شيئًا كهذا ؟

الحقيقة هى أن الإشعاعات كانت تضعف أحيانًا حتى تختفى ثم تتزايد إلى حد معقول .. لكنهم لم يستطيعوا ربطها بجسم معين .. ونظر أحد الرجال إلى صندوق الشحن وسأل بلغة اللاتويد زمليه :

- « هل يمكن أن يأتى من هنا ؟ إن هذه الأجهزة الكريهة تؤذى دائمًا »

لم يفهم حامل عداد ( جايجر ) هذه العبارة ، لكنه قال  
حين ترجمت له :

- « لاشيء من هذا .. هذه أجهزة ( مونييتور ) لوحدة  
القلب الجديدة .. لا ينبعث من هذه الأجهزة نشاط إشعاعي .. »  
وتشتمم للهواء من حوله وغمغم :

- « الرائحة كريهة حقًا هنا .. كأنها رائحة دورة مياه  
عمومية »

قال أحد الرجلين وألفه يتسع متشهما :

- « لا يوجد قبو عطر الرائحة .. ثم لا تنس أن هناك  
قنراتنا ميتة .. »

لهتمسم (مارك) ، وفكر - بطريقة الرجل الأبيض العنصرية  
المتعالية - في أن هذين الرجلين لا يمكن أن يلاحظا  
للروائح الكريهة .. ثم راح يتأمل الأرض .. كانت هناك  
بعض أكياس نهشتها القنران نهشًا ، لكنه لم يستطع تبين  
ما كان بها لقد تبعثرت المحتويات واختلطت بالغبار على  
الأرض .. والقبو على كل حال يعج بالمهملات والفوضى  
كأي قبو في العالم .. إن ( باركر ) لا يدخل هنا كثيرًا كما  
هو واضح ..

ومن الخارج جاء صوت ( باركر ) :

- هيبه ! هل توفلكم الله جميعاً ؟ «

شتم الرجل من تحت شاربته الكس ، ثم رفع عقيرته صائحاً :

- « لا يا سيدى .. لقد انتهينا تقريباً »

ونظر إلى الرجلين الواقفين ، وأشعل لفافة تبغ سريعة ، وقال وهو يمتص الدخان فى جشع :

- « من أجل الراحة فقط .. فلتنته الآن من كل هذا ونخرج قبل أن نصاب بالعصى .. »

ضحك الرجلان فى فهم .. والتظفرا بضع ثوان حتى أنهى الرجل لفافة التبغ فى خمسة أنفاس عميقة ، ثم ألقاها أرضاً ووأداها بحذائه ، وهمس :

- « هيا بنا .. »

\*\*\*

بقى يومان على وفاة الطبيب الفنلندى ( ميهائيل فالترى ) ..

\*\*\*

حين بدأت أعراض التهاب الحلق والحمى مع (ميهائيل  
فالتاري) كنا نعرف هذه المرة ما علينا أن نتوقعه ..

أدخلوه وحده العناية المركزة ، وقد فكر المدير في  
استئصال إحدى الغرف للمعقمة Gnotobiotic التي لدينا ،  
لكن هذه لم تبدأ العمل بعد .. وحاولوا قدر الإمكان أن  
يهيئوا له بيئة نظيفة خالية من العدوى ، كما حققوه  
بالمظلة المعتادة من المضادات الحيوية .. واقترح خبير  
أمراض الدم أن يتم نقل بعض الكريات البيضاء مع  
الجلوبيولين المناعي ..

قلعوا بفحص دمه ، واختبروا فضلاته بالنسبة للإشعاع ..  
حقًا كان جسده يزخر بها .. لقد تلقى هذا جرعة أعلى  
من اللارم كما هو واضح ..

قال ( آثر شيلبي ) - بكسر الشين وتسكين اللام -  
وهو يمضغ سيجاره ويحاول أن يبدو رائعًا :

- « إن حمض الـ DTPA قد أظهر نجاحًا سابقًا في  
حالات كثيرة .. »

سألناه في غباء :

- « وما الـ DTPA يا أخ ( شيلبي ) ؟ »

قال في ثقة :

- « إن اسمه طويل جدًا .. إنه ( الكالسيوم داي إيثيلين  
ترايامين بنتا أسيتيك أسيد ) .. لقد برهن على قدرة رائعة  
في الاتحاد بالمعادن الثقيلة المشعة ، وهو قادر على  
توجيهها لتفرز مع فضلات الجسم .. المشكلة هي أنه  
ليس موجودًا هنا .. »

- « ومن أين نلتى به يا أخ ( شيلبي ) ؟ »

- « من الإنترنت .. سأتصل بإدارة الطعام والدواء FDA  
أستعلم منها عن هذا العقار .. بعد هذا يمكن لأية طائفة  
أن تحمله إلى هنا من الولايات ، وستقوم السفارة الأمريكية  
بتسهيل الإجراءات .. »

ونظر في ساعته وقال :

- « أتوقع أن يكون العقار هنا في التاسعة مساءً .. »  
وكنا وقتها في العاشرة صباحًا ..

حقًا يتمتع هؤلاء الأمريكيان بالدقة والتقدم .. وقد  
سيطروا على معطيات بنياهم بحنكة وبراعة ..

لكن المشكلة هي أنهم لم يقهروا الموت بعد ، ولن

يقهروه .. لقد توفي الطبيب الفنلندي في السادسة مساءً  
بعدما هبطت دورته الدموية تمامًا .. وحين وصل العقار  
أخيرًا في طائرة هليكوبتر ، حوالى العشرة مساءً ، قال  
المدير :

.. « لا بأس .. إن لم أكن مخطئًا فلصوف نحتاج إلى  
هذا العقار كثيرًا في الأيام القادمة .. »

في هذه المرة لم يكن بوسع واحد أن يرفض تشريح  
للطبيب الفنلندي ..

كانت حالة اكتئاب عامة تغمر الوحدة ، وشعور علم  
بأننا محاصرون ، وأتينا جميعًا ذاهبون إلى عناية  
البروفسور ( جيبون ) الفلقة .. لكن الرجل لم يكن  
كالحنوتى الذى يلعب دوره ( عبد الفتاح القصرى ) فى  
أفلامنا .. كان عالمًا بحق وقد أنقذنى علمه من دوامة  
الحيرة مرارًا من قبل ..

لهذا تأكدت أنه ما من أحد يراى حتى لا لنهم بقسوة  
المشاعر ، وتوجهت إليه فى المشرحة ..

\*\*\*

## ٧ - مقالة عن الإشعاع وآثاره ..

جالسنا أمامه في رهبة ، سألته :

- « ما الذى يحدث فى أجسامنا حين نتعرض إلى الإشعاع ؟ »

قال ( جيديون ) وهو يتأمل المكتب أمامه كأنما يتنكر :

- « هذا فرع كامل من الطب .. فرع لم يكن أحد يعرفه قبل قبيلة ( هيروشينا ) وتريد أن أخصه لك فى كلمات ؟ »

ابتسمت وقلت :

- « إذا سمحت لى سأحكى لك قصة مسلية .. إنها عن ملك قوى تشغل فى مشاكل للحكم والحروب .. إلخ .. وفى يوم استدعى حكيم للحكماء وقال له إنه يريد معرفة تاريخ البشرية .. لتصرف الحكيم وغاب عشر سنوات ثم عاد بعشر مجلدات ضخمة ، كل مجلد على ظهر حمار .. فلما رأى الملك المشهد صاح مفضياً : أنت ترى أنه لا وقت



عندي لهذا كله .. اختصر يا حكيم .. اختصر .. لتصرف  
الحكيم وعاد بعد خمس سنوات بخمسة حمير على ظهر  
كل منها مجلد .. فتوبل من الملك بغضبة مماثلة ودعوة  
للمزيد من الاختصار .. هنا تصرف الحكيم وغاب سنة  
واحدة ، ثم عاد إلى الملك بمجلد واحد على ظهر حمار  
واحد . كان هذا الأخير قد هرم ووهن بصره ، من ثم  
طلب من الحكيم أن يختصر تاريخ البشرية أكثر .. غاب  
الحكيم شهرين ثم عاد إلى الملك بورقة واحدة .. ورقة  
بها تاريخ البشرية كله . لكن الملك كان على فراش  
الموت .. وقال للحكيم : يؤسفني أنني لن أجد الوقت  
الكافي لمعرفة تاريخ البشرية .. إن الموت أسرع مني  
ومنك .. هل يمكنك أيها الحكيم أن تحكى لي تاريخ البشر  
في جملة واحدة ؟ قال الحكيم الذي أنهكته الشيخوخة  
بدوره : يا مولاي .. للناس ولدوا فماتوا فماتوا ! كان هذا  
كل شيء ومات الملك راضياً .

كما توقعت ، شاعت ابتسامة في وجه ( جيبون )  
القلمى للصارم ، حتى لتسمع صوت قسملته وهي تنهشم  
من جراء هذا التغير الجيولوجي ، وقال :

- « أنت إذن تريد أن تكون هذا الملك وأنا هذا الحكيم .. ؟ »

- « لو لم أكن وقحا أكثر من اللازم .. »

- « لا بأس .. من الجميل أن لعب دور الملك ولو مرة .. لكن تذكر أن الطب غير قابل للتخليص في جملة .. »

لم أقل إن ( ابن سينا ) العظيم حاولها ونجح في بيتيه  
الشعرين الشهيرين ( وكل شيء عند العرب كان يصلح  
أن يكون شعرا ) :

ثلاث هن من شرك الجمال      وداعية للعالم إلى المقام  
دوام مدامة ودوام وطء      وإخال الطعام على الطعام

بدأ ( جديون ) يتكلم ، وحين يتكلم ( جديون ) على  
المرء أن يصفى :

- « يعتمد تأثير الإشعاعات المؤينة على جرعة الإشعاع  
ونوعه ومعدل التعرض له ، وبالطبع يكون التعرض  
للمزمن أخف وطأة من التعرض المباشر الحاد ؛ لأن  
الخلايا تستطيع أن تجدد نفسها بشكل أو بآخر .. لكن  
- بالطبع - للتعرض للمزمن يفتح الباب لخلل ناجم عن

تدمير أو تنشيط جينات معينة في الخلايا .. هذه الجينات قد تؤدي إلى الانقسام غير المنظم للخلية وبعبارة أخرى : السرطان ..

« التعرض الحاد للإشعاع بجرعات أكثر من ٤٠٠٠ راد يؤدي لتورم خلايا المخ والتشنجات والصدمة فالموت خلال ٤٨ ساعة .. وهذا هو السيناريو الذي أجد أنه الأمثل لتفسير ما حدث بالنسبة تلك المريض الكاميروني .. الجرعات من ١٠٠٠ إلى ٤٠٠٠ راد تؤدي إلى فقد شديد للسوائل وشلل النخاع ، وفي العادة يكون الموت خلال عشرة أيام .. الجرعات التي تقل عن ١٠٠٠ راد وتزيد على ١٠٠ راد تؤدي لتدمير النخاع فالموت خلال شهر . قد يسبب الإشعاع حروقاً خطيرة أو تدميراً للأوعية الدموية مما يسبب القترينا .. لكن هذه الحروق على كل حال ليست أكثر خطراً من حروق الشاي الساخن ، وتعالج بنفس الطريقة ، طبقاً مع غسيل للموضع بالكثير من الماء والصابون ..

« التعرض المزمن للإشعاع - بجرعات أعلى من ١٠٠ راد - تظهر آثاره على الكلى والربتين والنخاع

العظمى وعدسة العين .. السرطان أيضا يظهر بشكل واضح في حالات التعرض المزمن للإشعاع لنفس السبب الذي نكرته لك : إهانة الجينات .. والجينات لا تتسى أية إساءة تحدث لها ..

« إن الانشطار النووي لليورانيوم والبلوتينيوم ، يخلق نحو ٣٠٠ نوع مختلف من النظائر المشعة .. بعضها يملك نصف حياة أطول من سواه .. وبعبارة أقرب للفهم : بعضها يعيش أكثر من سواه .. السترونيوم - ٩٠ على سبيل المثال يعيش ٢٨ سنة .. ولهذا هو مشكلة حقيقية بالنسبة لتلوث الطعام والنباتات .. وخطر السترونيوم - ٩٠ هو أنه يتصرف مثل الكالسيوم بالضبط ، لذا ترسبه الحيوانات في عظامها ، والنباتات في جذورها .. وهذا - كما هو واضح - يؤدي إلى سرطان العظام والدم معا ..

« هذه هي مشكلة مايسمونه بـ Fallout وهو موضوع مهم بالنسبة لعلماء الانشطار النووي .. إنه أثر سقوط المواد المشعة على التربة واختلاطها بطعام البشر ومائهم .. إن الحكومة الأمريكية لم تصدق أن تجاربها في الصحراء مؤنية ، وظلت تتكرر هذا لفترات طويلة ، حتى صدر أول حكم من المحكمة ، يؤكد علاقة سقوط

المواد المشعة بعدد من حالات السرطان ظهرت في ولاية  
دلتية من موضع إحدى التجارب ..

« ثم جاءت حادثة مفاعل ( شيرنوبيل ) عام ١٩٨٦  
لتكون بمثابة عيد للطب الذرى .. هذا يوم لا ينسى ، وكل  
ما تنبأ للعناء به وتنبأوا للبشرية ضده ، قد تحقق .. إن  
الكابوس حقيقى إن ولا داعى للفن لرعوس فى الرمال .. »  
سألت ( جيديون ) وقد بدا لى أنه أنهى محاضرتة  
القصيرة :

- « هل وفاة الفنلندى تتدرج تحت هذه القاعدة ؟ »

فكر قليلاً ليزن كلماته ، ثم قال :

- « من الواضح تماماً أنه تعرض لإشعاع جرعة

أكثر من ١٠٠ راد ، على فترة طويلة ممتدة .. نفس الشيء  
ينطبق على ختازير غينيا التى قتلت أنت بتشريحها .. »

- « والباقيا .. هل هى خطرة ؟ »

- « نعم .. لكن ليس على المدى القريب إذا كنت تخشى

هذا .. ومن رأى أنه يجب دفنها تحت الأرض وسط  
الخرسانة بحيث لا تؤثر على أية حياة نباتية أو حيوانية .. »

فكرت فى السؤال التالى :

« هل حقًا تعتقد أن حمض الـ DTPA مفيد لهذه الحالات ؟ »

لم يكن مولغا بـ ( آرثر شيلبي ) .. أو لنقل إنه لم يهم به حيا يوما ما ، لكنه كان يحترم عقله .. قال لي :

« ( شيلبي ) بطبعه مبهرج الأسلوب ، مولع بالحلول المصيرية .. ولو لم يكن طبييًا لصار أفضل مقدم فقرات في السيرك .. إن ( الكالسيوم داي إيثيلين ترايامين بنتا أسيتيك أسيد ) حل جيد .. ربما هو الحل الوحيد ، لكنه يؤدي إلى فقدان الزنك من الجسم .. والزنك عنصر حيوي .. إن نقصه قد يؤدي إلى فشل كلوي أو نزف معوي لا يمكن إيقافه .. بالتالي لا يمكن أن يطول أمد هذه المعالجة ، وبالتأكيد هي أخطر أحيانًا من الإشعاع ذاته .. »

بعد برهة صمت أخرى سألته :

« ما رأيك في موضوع غزاة الفضاء هذا ؟ »

قال في رزلة :

« لا أرفضه ولا أقبله ما لم يأتني أحدهم بدليل واضح .. وعلى قدر علمي لا يوجد دليل على طبق طائر فضلاً عن كونه مشعاً .. »

وأشار بكفيه المفتوحتين إلى كومة الأوراق أمامه  
وقال :

- « لديك هنا مشاكل .. كومة من المشاكل الحقيقية ..  
يمكنك أن تتعامل معها وتنسى كل شيء عن أي شيء  
آخر لا تؤيده القرائن .. لديك حالة تلوث إشعاعي واضحة  
في ( سافاري ) .. وهذا الإشعاع يتراوح من ١٠٠ إلى  
٤٠٠ راد .. عليك إذن أن تجد الحل .. »

- « ومن الذي يملك هذا الحل ؟ »

- « الأمر أكبر منا .. لا بد من أن يقوم أحد هؤلاء  
التناقلة في الإدارة بالاتصال بـ ( ياوندى ) .. نريد خبراء  
في الطاقة الذرية .. »

ثم نظر في ساعته وقال في صرامة :

- « هل قمت بتلخيص تاريخ البشرية في جملة  
واحدة ؟ »

- « أعتقد هذا يا سيدي .. لقد فعلت هذا أو كنت »

- « إذن .. أنصرف ! »

\*\*\*

## ٨ - المسح ..

بعد يومين سمعت طرقات على باب حجرتي في الصباح الباكر ، ففتحتَه فقط لأجد أغرب مجموعة من رواد الفضاء في حللهم البراقة .. مشهد غريب جدًا في الصباح .. وتكفل النعاس بجعلني أتوهم للحظة أن هؤلاء من غزاة الفضاء ، وأنهم جاعوا من الطباق الطائر إياه .. ثم تكلم أحدهم من وراء قناعه وكان صوته عميقًا مكتومًا :

« لا تخشى شيئًا .. مهمة روتينية .. »

كيف لا أخشى شيئًا وهذه المجموعة العجيبة تفتح حجرتي ، وقد تكفلت ثيابهم بجعلهم لا يمتون للبشر بصفة ؟ على أنني فطنت إلى أنهم في الغالب من رجال الطاقة الذرية ، وفي الغالب من ( ياوندى ) شخصيًا .. إن ( بارتلييه ) لم يضع وقتًا أكثر وبالتأكيد أمطر ( ياوندى ) بالاستغاثات الملحة ..

قاموا بمسح الحجرة معرعين بجهاز ما ، واهتموا





بعد يومين ، سمعت طرقات على باب حجرتي في الصباح  
الباكر ، ففتحته لأجد أغرب مجموعة من رواد الفضاء ..

بأحذيتي بشكل خاص .. إذ قلبوا كل حذاء وراحوا  
يفحصون الفخار المنتصق بالنعل .. بدا من روتينية  
حركاتهم أنهم لم يجدوا شيئاً ، وأن هذا تكرر في أكثر  
من حجرة ..

لم أقبل بوضوح جنسيتهم من وراء الأقنعة ، لكن  
بدا لي أن اثنين أو ثلاثة منهم غربيون .. وفي القنينة  
شكرني أولهم بلهجة مهذبة وبفرنسية تشي بلغة فرنسي ،  
واقصبوا من المكان ..

\*\*\*

يا له من حصار يا إخوتي ! لكم أن تراهنوا على أن  
المشهد كان رهيباً حين خرجت من حجرتي .. هؤلاء  
الرجال في كل مكان يفحصون كل شيء ، حتى تنكرت  
غزو تلك المجموعة من الممرقة للوحدة منذ عام ..

بعد قليل جاعني (بسم) وعلى وجهه علامات الاستمتاع  
وسألني بالقصحي كعادتنا في التخاطب :

- « هل رأيت هذا الميرك ؟ »

- « رأيت ولا أشعر براحة على الإطلاق .. »

أشار إلى الوراء وقال وهو يهز كتفيه :

- « يشكون في وحدة الفضيل الكلوى .. »

- « سيكون هذا غريباً .. وحدات الفضيل الكلوى

لا تستعمل المواد المشعة .. »

- « لا أدرى السر ، لكن من الواضح أن عداداتهم

تشير إلى نشاط إشعاعي بالغ القوة هناك .. »

بعد ثوان ظهر ( بارتلييه ) مرهقاً يادى التوتر ، ومر

بنا فلم نظفر منه إلا بنظرة عابرة .. كلما لم يدركناها  
قط ..

كان ( سباززلى ) أستاذ للجراحة الإيطالى يمشى

خلفه - مرتدياً بجامة الجراحة - ويلوح بذراعيه فى

الهواء صائحاً :

- « مام ماميا ! كله إلا قسم الجراحة يا ( مورييس ) ..

كله إلا الجراحة .. إن لدينا قائمة مرهقة للعمل اليوم ! »

قال ( بارتلييه ) دون أن ينظر للوراء :

- « لقد قررت إلغاء جميع الجراحات .. أنت لا تفهم ..

إن الأمر أخطر من تلوث بالكزاز .. إن ..... »

ثم نظر للوراء فوجد أن عند الأوغاد الذين أرففوا  
أذانهم للسمع أكثر من اللازم ، فتوتر .. مد يده بمسك  
بكتف الجراح الإيطالي ، وبدأ يتكلم همسا هذه المرة ..  
كان من الواضح أن الإيطالي غاضب بجنون ، وأن المدير  
يحاول امتصاص غضبه هذا .. بالطبع لم يكن مفر من  
إلقاء للجراحات حتى إعلام آخر .. إن الإشعاع ليس من  
الأمور التي يمكن للمزاح فيها ..

فيما بعد بدأت الأخبار تتسرب أكثر فأكثر ..

يبدو أنهم وجدوا إشعاعات في غرف الفضيل الكلوي ..  
إشعاعات لم يستطيعوا تحديد مصدرها ، ولكنهم حين علووا  
الفحص في الظهيرة لم يجدوا شيئا .. نفس الشيء تكرر  
مع غرف للجراحة .. والآن بدأ للشك بحوم حول قسم  
الأشعة ، لكن أجهزة الأشعة كانت محكمة ، وكانت الغرف  
مبطنة بالرصاص جيدا بحيث لا تسمح بأي تسرب ..

ثمة إشعاعات تنبعث من القبو - كما قلنا من قبل -  
لكنهم لم يجدوا مصدرها .. في النهاية وجدوا مجموعة  
من الأكياس الممزقة السوداء التي مزقت القنران  
محتوياتها .. لم يستطيعوا تحديد ما كان فيها ، من ثم

حملوا البقايا ووضعوها في كيس واقي .. فالحقيقة  
الوحيدة هنا هي أن هذه البقايا كانت مشعة بقوة ..

وفي المساء دعنا - كل أفراد الوحدة - ( بارتليبه )  
إلى اجتماع به في ( للتيتور ) ..

قال لنا وقد وقف على المنصة بداعب مكبر الصوت  
بألمه :

- « اعتقد أنكم جميعًا تعرفون ما يحدث هنا الآن ..  
لو لم تتضح الأمور أكثر في الغد ، سيكون من واجبي  
إنهاء العمل في وحدة ( سافاري ) .. إن مهمتي هي  
الحفاظ على حياة الموجهين هنا ، كما هي الحفاظ على  
حياة مرضانا .. »

قال لهم في حلس :

- « نحن لن نتراجع عند أول خطر يهددنا .. »

كان أحمق ، وودت لو عرفت من هو ذلك الأحمق ،  
لكني لم أتبينه .. إنه يحسب الحماس وحده كافيًا لمقاومة  
الإشعاع ، ولو صح هذا لتلاشى خطر القتابل الذرية  
تمامًا .. كل ما على القوم الذين تهوى عليهم قنبلة ذرية

هو أن يتحمسوا .. ولحسن الحظ لم يول ( بارتلييه )  
هذا الكلام اهتمامًا ، وقال :

- « كما أحمل مسئولية الجميع ، وقد اتخذت قرارى .. »

هنا رفعت ( برنات ) يدها طالبة للكلمة .. وكان  
هذا غير معتاد لأن من يتكلمون فى هذه الاجتماعات  
لا يزيدون على أربعة فى الغالب .. وكلهم من سن ووزن  
( آرثر شيلبي ) فصاعداً ..

نظر لها المدير متسللاً .. فرفعت صوتها الذى خرج  
حاداً متحسرجاً بعض الشيء ، شأن للممثلات المبتدئات :

- « سيدى .. هل لنا أن نعرف بالضبط ما توصل  
إليه الرجال الآتون من ( ياوندى ) ؟ »

قال ( بارتلييه ) فى تعلية :

- « توصلوا إلى أن الإشعاعات تظهر وتختفى فى كل  
مكان بلا سبب ، وتتباين قوتها من حين لآخر .. »

- « وهل لديهم تفسير لهذا ؟ »

- « لم يقولوا شيئاً .. إنهم مبرمجون النتائج  
ويخبروننا .. »

- « قيل إنهم وجدوا بعض الأكياس الممزقة في القيو .. فهل عرفتم ما كان بها ؟ »

ابتسم المدير في تعب ونظر إلى السقف وقال :

- « فضلات آدمية ! »

- « ماذا تعنى ؟ »

- « برار ! إذا كان هذا القول لا يتنافى مع اللياقة .. لقد دفعت الفئران ثمن شراستها غالياً لأن الفضلات كانت مشعة ! »

تصاعدت صيحات الدهشة .. وتردبت الكلمة كريمة الراحة بكل اللغات .. ما معنى هذا لو كان له معنى ؟

قللت ( برنات ) في لهجة واثقة برغم وهن صوتها :

- « الأمر واضح .. إن مصدر الإشعاع يتحرك .. إنه

بيتنا II »

\*\*\*

- « بيتنا ! بيتنا ! »

ساد الهرج والمرج وراح الكل يتكلم في صوت واحد

بأكثر من لغة .. لا بد أن عبارة ( بينتا ) قيلت بألف لغة الآن .. هنا وجد ( بارتلييه ) نفسه مضطراً إلى أن يقرع المنضدة مراراً بكفه كقاض حازم ، وصاح :

« الهدوء ! لنا لأسألكم الكثير ! »

ثم نظر إلى الطبيبة الكندية المتحمسة وتساءل :

« هل تعتقدين أن هناك من يشع بين هذا للطاغم

ياد. ( جونز ) ؟ »

ابتسمت برغبتها لغرابة الفكرة ، وقالت في كياسة :

« بل إن هناك من يحمل مصدر الإشعاع ويتخلص

منه من حين لآخر .. تارة يدنو من أجهزة القياس وتارة

ينأى .. لا يوجد تفسير آخر لإشعاع يغير مكانه وجرعته

من حين لآخر .. »

هنا نهض ( شيلبي ) في عصبية وقال وهو مضغ

سجله :

« هذا تهريج علمي بلا شك .. لا أحد يمكن أن يحمل

مصدراً للإشعاع دون أن يموت به .. ما لم يرتد ثيابها

واقية من الرصاص طبعا ، ولا أحسب أحداً في ( سافاري )

يرتديها الآن على قدر علمي .. »



من جديد نظر (بارتلييه) إلى (برنات) وسألها :

- « وهل لديك اقتراح معين يا د. (جونز) ؟ »

قالت على الفور :

- « أرى أن يخضع كل أفراد (سافاري) للفحص مدقق

أمام عداد (جولجر) ، وليكن هذا الآن قبل أن يجد واحد

فرصة لإفراغ جيوبه .. هل يمكن ترتيب هذا ؟ »

صاد للصمت .. ثم بدأت الهمهمة والضوضاء ..

أخيراً مال (بارتلييه) على المنضدة ، ونظر إلى (مالك)

فنى الأشعة الأمريكى ، والذي جعلته الضرورة خبير

الإشعاع الأهم بالنسبة لنا .. وقال له :

- « ما رأيك يا (مالك) ؟ »

ابتسم (مالك) من وراء شاربته للكث ، فهو مستمتع

بكونه صار أهم شخص فى الوحدة فى الفترة الماضية ..

وقال وهو يتأهب للنهوض :

- « لحظة واحدة وأعود يا سيدى .. »

تعللت أصوات الاحتجاج ، وبالطبع راح البعض

يتكلمون عن خصوصيتهم وعدم قبولهم التفتيش الذاتي  
وما إلى ذلك ..

هنا قال ( بارتلييه ) في سرعة بديهية لم أعدّها منه  
قط :

- « لو كان أحد في هذه القاعة يرى من حق الإنسان  
أن يكون مصدر إشعاع ، فليرفع يده اليمنى .. »  
طبعا لا أحد .. فعلا يقول :

- « ولو كان واحد يرى أن للوقوف أمام عداد  
( جاجر ) إهانة فليرفع يده اليمنى .. »

طبعا لا أحد .. وما لزوم هذه الضوضاء إذن ؟ إن  
الناس لا تكف عن السخف ، ولقد طلب ابن ( جحا ) من  
أبيه أن يعطيه السماعة فقال له : « تعالى على الهلجنة  
واتصدر » .. أى اهتم أكثر من اللزم بالأمور التافهة  
لتضمن لنفسك مكانا بين السخفاء ..

أخيرا عاد الأخ ( مارك ) بجهته للثمين ، وبأمر من  
( بارتلييه ) نهضنا ووقفنا في صف طويل .. وراح كل منا  
يمر أمام الرجل الواقف أمام الباب والممسك بالجهاز ..  
هنا يقول ( مارك ) بلهجة من يمنح العفو :

- « نظيف .. »

فيخرج للرجل وهو يتهدد الصعداء ، أو يرفع ذراعيه  
بحركة مسرحية توحى بنظافة النيل ويخرج عائداً إلى  
عمله ..

وجاء دور ( برنات ) فوقفت أمام الجهاز وتلمنته  
كطفلة مبهورة ، وسألت الرجل :

- « ألا يصدر هذا العداد صوت أزيز حين يشعر  
بالإشعاع ؟ »

- « ليس في هذا الطراز .. إتنى لقرأ انحراف الإبرة  
فقط .. »

وتدرجياً فرغت القاعة ممن كانوا فيها .. ربما  
بإستثناء ( بارتلييه ) وأنا و ( باركر ) ..

اتجه الرجلان إلى الجهاز في أريحية كأنما يضربان  
المثل للأجيال القائمة ، فلم يكن أحدهما مشغاً .. ومررت  
بدوري لأسمع كلمة ( نظيف ) .. ثم خطوت إلى خارج  
القاعة حيث كان الجميع تقريباً واقفين يتحدثون  
ويمزحون ، وقد راق لهم هذا الموقف الدرامي الذي  
يكسر روتين الحياة الممل ..

هنا صاح ( باركر ) في عنجهية :

- « فليعد كل إلى عمله .. واصوف تطلبكم لو حدث  
تعديل في خططنا .. »

وصاح المدير وهو يتلحرج نحو مكتبه :

- « ربما نبدأ بإخلاء الوحدة غذا عند الظهر .. سيبلغكم  
د. ( باركر ) بالتفاصيل .. »

هنا تنكرت شيئاً فلاحقت بالمدير صائحاً :

- « سيدى .. ثمة أمر نسيناه .. »

سألنى وهو مستمر فى التلحرج دون أن يتوقف :

- « وما هو يا ( علاء ) ؟ »

- « موضوع للطبق الطاهر هذا ، ولماذا بدأت التغييرات  
بعده .. »

قال مقتلاً :

- « لقد فعلنا ما بوسعنا ، لكننا لم نجد سوى كلمات  
بعض العمال الأفارقة .. قل لى بربك ماذا أفعل ؟ »

كانت أعصابه حقاً مرهقة ، لذا أثرت الصمت قبل أن  
ينفجر فى ..

\*\*\*

## ٩- فلنفتش حاجياته ..

كانت واقفة في الحديقة في ضوء للغروب الغريب ..  
الضوء الذي يستعصى على التصنيف والوصف ، والذي  
أضنى الفنانين الفرنسيين التأثيريين في نهاية القرن  
الماضي .. هل هو أزرق ؟ هل هو أحمر ؟ هل هو  
قرمزي ؟ هل هو خليط من هذا كله ؟ وكان الحل الوحيد  
الذي وجدوه هو أن يستعملوا ( باليتة ) ألوان لا يمكن  
وصفها بدورها .

كانت واقفة هناك ، وكانت تدخن .. الدخان المتصاعد  
يصطبغ بلون الغروب الفامض ، فيخلق رؤى لا تمت  
لعالمنا هذا .. الحقيقة أنه من النادر أن يرى المرء  
( برنات ) تدخن ، لكنها لا تنكر أنها تغطيها من حين لآخر ..  
ربما تشعل الغافة تبغ كل ثلاثة أشهر .. والسبب في هذه  
المرّة واضح : إنها في حالة حيرة واكتئاب شديدين ..

دنوت منها في حذر ، متهيّبا أن أقطع صلاتها للصامنة  
هذه أو رحلتها في عوالم المجهول .. وبقشعريرة مناسبة  
تفكرت قصيدة ( إيليا أبو ماضي ) الحالمة : « سلمى بماذا

تفكرين ؟ سلمى بمذا تحلمين ؟ .. كنت أهتم بهذه القصيدة  
حباً في مراهقتي ، برغم أن كتاب محفوظات الوزارة أصر  
على أنها ( زفت ) .. والسبب هو أن الوزن يحتم ألا يكون  
هناك تشديد على الكاف في ( تفكرين ) .. بينما فعل  
( تفكرين ) - يمسكون الكاف غير المشددة - لا وجود له  
في العربية .. ولو جرؤت وقتها وأعلنت لئنني أحب هذه  
القصيدة لظلت في المدرسة الثانوية حتى اليوم ..

كان من الممكن أن أرحل لكني لم أستطع مقاومة  
فكرة اللثو من ( برنات ) في هذه الحالة من النوبان  
في لجة الشرود .. سألتها همناً وقد أدركت أنها لاحظت  
وجودي فلم تجفل :

- « سلمى .... أ .... ( برنات ) .. بماذا تفكرين ؟ »

أطلقت سحابة من اللخان وصعقت ، وقالت :

- « في كل هذا العبث الذي تعيشه الآن .. »

بالطبع .. لا يمكن أن تختلي بنفسها الآن لتفكر في  
سر هجرات الطيور ورحيل الفصول .. وكنت أخشى أن  
تحسبني ساعلواً لتقديم عرضي السابق ، لذا قررت أن  
أصرف حالاً .. لكنها استوقفتني سائلة :

- « (علاء) .. كيف يعن عداد (جانيجر) عن وجود إشعاع من عدمه ؟ »

قلت لها وقد فلجأتني السؤال العجيب :

- « كنت أحسبه يطلق صوتًا .. نوعًا من البيب بيب .. لكن من الواضح أن عدالنا لا يفعل .. »

أطلقت سحابة أخرى ، وقلت وقد تردد وجهها إظلامًا ..  
كأنما يذوب في الليل للوشيك نفسه :

- « لم يجر (مالك) فني الأشعة الاختبار على نفسه .. ماذا لو كان هو مصدر الإشعاع ؟! »

توقفت عن الحماس ، ونظرت لها محاولاً فهم ما ترمي إليه .. حتى لو كان للضوء كافيًا فللمفوض ظلامه الخاص :

- « إن (مالك) يقرأ للجهاز جيدًا ولو تبين وجود إشعاع لكان قد .... »

- « وماذا لو كان يخدعنا ؟ إنه الوحيد الذي يستطيع فهم معطيات الجهاز ، والجهاز لا يعطي صوتًا مميزًا لوجود إشعاع .. كيف نعرف أنه نظيف حقًا كما يقول لنا ؟ »

تصلبت في مكثي ..

هذه ناحية أخرى من التفكير لم تخطر لي بهال قط ..  
ماذا لو كان يخدعنا ؟ كيف نعرف أنه نظيف ؟ غريب هذا  
لكنه لا يخلو من المنطق ..

★ ★ ★

سلمى بماذا تفكرين ؟ سلمى بماذا تحلمين ؟  
إنها - ببساطة - تفكر في عداد ( جارجر ) ..

★ ★ ★

سألتها متردداً :

- « هل .. هل وجدت ما يشير ريبك فيه من قبل ؟ »  
قالت وهي تنظر إلى الليل الإفريقي الذي بدأ يسيطر  
بقوة على الأحراش البعيدة :

- « لا أدرى .. إنه وجه جديد أولاً .. ثانياً هو الوحيد  
الذي يعرف شيئاً عن الإشعاع الذري ، وكل معلوماتنا  
مستقاة منه .. ثالثاً : لقد كان يتفقد الوحدة مع رجال  
الطاقة الذرية القادمين من ( ياوندى ) .. »  
- « حقاً ؟ هل كان يرتدى بذلة واقية ؟ »



- « لا .. كان يلحق بهم أو يتقهقر .. يدنو ويتعد ..  
ومع دنوه وابتعاده كان المؤشر يثب لأعلى ولأسفل ..  
وكان صوت البيب يبيب ينبعث من أجهزتهم .. لكنهم لم  
يفهموا ، ولم يفهم هذا أحد .. في البداية بخلوا وحدة  
الفسيل الكلوي ، وكان ينتظرهم بالداخل .. عندها بدأت  
الأجهزة تصدر صوتاً .. فلما علوا بعد تلك لم يدخل معهم ،  
من ثم ظلت الأجهزة ساكنة .. نفس الشيء تكرر في قسم  
للجراحة .. إلخ .. صدقتي هذا هو التفسير الأوحى .. »

ظلت صامتة عاجزة عن التفكير للصواب ، ثم فكت لها :

- « وكيف لا يموت هو نفسه ؟ »

- « لا أعرف .. ثمة ثغرات في كل نظرية ، وحتى  
للنظرية النسبية ذاتها .. »

- « ولماذا يفعل ذلك ؟ »

- « لا أعرف .. ثمة ألغاز في كل مكان من العالم ..  
فلماذا يكون هذا الرجل استثناء ؟ »

- « ولماذا يجب عمله ؟ »

- « تفتيش حاجياته طبقاً .. حين يتعد عن غرفته

لفترة مطمئنة .. إن التحلم أية غرفة في ( سافارى )  
عملية هينة كما جربنا جميعاً .. »

سألته في غباء :

- « وكيف نبعده عن غرفته ؟ »

- « لهذا صارحت المدير بأفكارى ، بالطبع استتيت  
موضوع نية التفريش هذه .. وطلبت منه أن يستدعى  
( مالك ) إلى مكتبه لاستجوابه عن بعض التفاصيل ..  
معنى هذا أن ( مالك ) سيكون فى مكتب المدير لمدة  
نصف ساعة على الأقل ، ومن المؤكد أنه لن يغادرها ..  
ولهذا أنتظر أنا هنا حتى أسمع من يستدعيه خلال  
مكبرات الصوت .. »

ثم التمت عيناها فى الظلام ، وقالت بنهجة من لن  
يرفض له طلب :

- « أما وقد عرفت الأمر الآن ، فلا أرى ما يمنع أن  
تكوم أنت بهذا .. إنها كما ترى مهمة رجل ا »

حقاً هى مهمة رجل .. لكن لماذا أقبلها ؟ هل لأن  
الشكوك مقنعة أم لأن ( برنات ) هى من طلب ذلك ؟  
لا أرى وإن كنت أفضل أن يكون الجواب هو الأول ..

أفضل ألا أكون معدوم الإرادة ، وأن تكون خيارتي هي  
خيارتي أنا .. وليدة قناعاتي الخاصة أنا ..

قلت لها وأنا أملأ صدري الضيق بهواء الليل :

- « لن أتركك تجربين شيئاً كهذا .. ليكن .. سألعب  
دور الأحمق .. ولكن متى أتحرك ؟ »

هنا سمعنا صوت مكبر الصوت يدوي من داخل  
البنية :

- « للفنى ( مايك نورتون ) مطلوب فى مكتب  
المدير حالا »

\*\*\*

بعد دقائق كنت أقف على باب حجرة الرجل .. أنظر  
إلى اليمين واليسار فلا أجد إلا ممراً خائفاً يغمره ضوء  
النيون الخافت .. أمد يدي فى جيبى بحثاً عن المفاتيح  
الثلاثة : مفتاحى ومفتاح ( برنات ) ومفتاح ( بسلام ) ..  
لا بد أن يفتح الباب بواحد منها .. لا أظن ( مايك ) اتخذ  
حذره أو لاحظ هذا لأنه وجه جديد على ( سافارى ) ،  
وبالتأكيد لا يعرف القاعدة الشهيرة : كل مفتاح يفتح أى  
قفل ، وإلا فإن أقرب نيل محلية يؤدى للغرض تماماً ..

فشل مفتاحي ومفتاح (برنات) ، لكن مفتاح (بسام)  
أدى للغرض تمامًا ..

وبلغت إلى الغرفة ..

\*\*\*

ولم أكن أعرف أن (بارتلييه) يصاب بنوبات قلبية  
أحيانًا ..

ولم أكن أعرف أنه مر بإحداها من دقائق ، وأنه  
وضع قرصًا من (النيتروجلسرين) تحت لسانه وجلس  
منهكًا والعرق يتفصد من جبينه وأعلى صدره .. أثناء  
تصفير الأكم يتراجع ببطء من كتفه الأيسر الذي كان  
يصير مملكة محتلة ..

هنا سمع صوت للمكرتيرة عبر الدكتافون تخبره أن  
(مالك نورتون) ينتظر بالخارج ..

- « (مالك) من ؟ »

- « فنى الأشعة يا سيدى .. لقد طلبت مقابلته .. »

فك ربطة عنقه ونس إصبعًا بين لحم عنقه الشحيم  
والبراقة ، ثم قال لها بصوت حاول أن يكون طبيعيًا :

- « لا أستطيع لقاءه الآن .. قولى له أن ي .. يجرى »  
فى .. فى العاشرة صباحًا .. »

وسمع السكرتيرة تعتذر لـ ( مايك ) فى الخارج ،  
وشعر بأن حاله أفضل نوعًا ..

\*\*\*

كنت أنا فى الغرفة إذن أتفقدُها على ضوء الكشاف  
الصغير الذى فى جيبى .. لست راغبًا فى استعمال  
الضوء الكهربى حتى لا يشعر أحد بالخارج بأن هناك  
شيئًا غريبًا ..

كنت حجرة عالية جدًا ككل حجرات (سافارى) ولا تحمل  
طابعًا شخصيًا مميزًا .. هذا الرجل لا يعطى صورًا تروق  
له أو يضع تذكارات مهمة هنا وهناك ..

اتجهت إلى خزانة للثياب وفتحتها .. بضعة معاطف  
معلقة وبعض الثياب و .... هنا لا حظت شيئًا غريبًا فى  
أسفل الخزانة .. كأنه رأس مقطوع .. رأس مقطوع هنا ؟  
كما يفعلون فى أفلام الرعب حين يضعون الرأس  
المقطوع المستحوذ فى الثلاجة .. إن ( برنات ) تتوقع  
أشياء غريبة هنا لكن إلى هذا الحد !!



هنا لاحظت شيئاً غريباً في أسفل الخزانة .. كأنه رأس مقطوع ..

اتحنت أكثر فأدركت أن هذا ليس سوى رأس دمية  
مما يضعه حلاقوا النساء في محلاتهم .. رأس ثبتت عليه  
جمة من الشعر الأشقر الكثيف .. غريب هذا ! إن  
(مايك) يضع شعرا مستعارا .. والأسوأ هو ما رأيته  
مثبتا إلى الرأس في منتصف الوجه .. خصلة شعر لها  
مظهر الشارب .. شارب أشقر كث .. شارب يشبه شارب  
(مايك) بالضبط ..

لو كان هذا هنا فما لون شعر (مايك) الحقيقي ؟  
ولماذا يثبت شاربًا مستعارًا ؟ وما الذي يضعه على رأسه  
الآن إذن ؟

راح قلبي يخفق كالطبل ، بينما أحاول العثور على  
أشياء أكثر في هذه الخزائن الغريبة .. لم أجد شيئًا آخر ،  
فقررت أن أستكشف الحمام ..

كانت الغرابة الحقيقية تبدأ هنا بحق ..

أولاً كان يملك ما يشبه ( قصيرة ) الأطفال موضوعة  
في ركن المكان .. وقد غلف قاعها برفائق الألومنيوم ..  
بالطبع كي يسهل تغليف الفضلات والتخلص منها ..  
وكانت هناك قارورة صغيرة تشبه ما يوجد في المعامل ،

وقد امتلأت بمسائل من الواضح أنه بول .. هذا رجل من الطراز الذي يحتفظ ببوله وبرازه خارج الحمام ولا يتخلص منهما بسبيل المجارى العادى .. أنا لم ألق كثيرين من هذا الطراز ، ولا أفهمهم البتة ..

ثم كنت هناك صيدلية معلقة على الجدار ، فتحتها فوجدت بعض الأدوية الضرورية للمعاقدة للملاريا والأميبا إلخ .. لكن كانت هناك بعض العلب الغريبة التى لم يكتب عليها أى شيء على الإطلاق ، اللهم إلا عبارة :

( هذا الدواء تجريبى وليس للاستعمال التجارى -  
بتصريح خاص من إدارة الطعام والدواء FDA ) .

وكانت تحوى أقراصا لم أر مثلها من قبل ..  
كان تلك عندما سمعت صوت من يفتح الباب ..

★ ★ ★

« وداعا يا أبى أرجوك صلّ من أجلى ..  
لقد كنت لنا وصمة عار الأسرة ..  
حاولت أن تعلمنى الصواب من الخطأ ..  
خمر كثيرة .. غناء كثير ..

يدهشنى كيف تعاملت مع الحياة .. »



سمعت صوته يترنم بهذه الأغنية الإنجليزية العتيقة  
وهو يخلق الباب خلفه ..

الآن تلتق الأبرينالين أنهارًا في دمي ، وصرت على  
استعداد للوثب .. للركل .. للصراخ .. للعض .. للقتل ..

بينما هو مازال يترنم :

« وداعًا يا أصدقائي ..

من الصعب أن أموت ..

بينما الطيور تغرد في السماء .. »

أسمع صوت انتزاع ثياب وتطويحها .. ثم باب الحمام  
ينفتح ..

الآن أنا واقف - في أسوأ حال - وراء ستار من  
البلاستيك يحيط بالمقطن .. لم يكن هنا مقطن لكنها  
بالوعة في الأرض تحت الدوش .. وكنت أعرف أن  
الأحمق سينتهي يومه بالاستحمام ..

« وداعًا يا صديقي المخلص ..

لقد عرفنا بعضنا منذ كان حمرنا تسعًا وعشرًا .. »

كان يقف أمام مرآة الحمام ينندن لنفسه كعادة كل من  
يخلون الحمام ، وجروّت على أن أطل قليلاً من وراء  
الستار لألقى نظرة .. صدمنى الرأس الأصلع والوجه  
الخالى من الشعر تماماً .. كتمت أنفاسى وعدت إلى  
مكمنى .. إثن ( مارك ) أصلع تماماً .. ولا بد أن لديه  
جنتين وشاربين مستعارين على سبيل ( القمار ) كما يملك  
المرء سروالين إن كان ثرياً ..

وأعدت تأمل موقفى ..

إن جوارى هنا سلاحاً هو أداة لمسح البلاط المبتل  
يدأربها وراء ستار للمغطس .. لو بقيت مكتمى فلمسوف  
يجدنى وعندها إما أن يتخلص منى - لو كان موقفه غير  
مشروع - أو يستدعى الأمن ويملاً الدنيا صراخاً لو كان  
موقفه مشروعاً .. كلا الحالين لا أحبهما ..

وهكذا اتخذت قرارى ، وهو ما زال يولبنى ظهره ،  
ولا أحسب أنه سيرى وجهى فى المرآة ..

أصمكت العصا بكتا يدى ، ثم أرحت الستار ..  
وهاآآن .. بكل ما فى دمى من أرينالين جريت نحو  
الرجل الأصلع الذى يتأمل وجهه باستمتاع فى المرآة ،

.. وهويت على مؤخرة رأسه بالقصا .. داعيا الله أن تكون  
الضربة قوية بحيث يفقد وعيه ، وألا تكون قوية إلى حد  
أن تجرحه ..

« وداعا يا أبى أرجوك صلّ من .... آى !! »

شعرت به يتهاوى من ورائى ، ولما أفتح الباب فسأب  
إلى الخارج .. عني تقع على الجمة الملقاة على للفرش ..  
أفتح الباب سريعا وأثب إلى الخارج ، وأوصده خلفى ..  
حمدا لله لا يوجد أحد هنا .. وإلا صار تفسير موقفى  
عسيرا بحق ..

حين ألقى ( برنات ) ستكون لدى بعض أسئلة  
حاسمة عن براعتها فى التخطيط ..



## ١٠ - قيس من الضوء ..

وقالت لى ( برنات ) وهى تفتح باب غرفتها :

- « تعالى .. إن الإنترنت هى السبيل الوحيد للإجابة عن كل هذه الأسئلة .. »

ومشيت وراءها عبر الغرفة التى لم أخلها قط فى حياتى .. الغرفة التى اعتبرتها مقدمة وملأها خيالاتى بكل طريف نفيس من الغرائب .. هاتان قدمائى تطآن الموكيت الوردى الذى تحبه ( برنات ) كثيرا ، وثمة رائحة عطرية غريبة يفوح بها كل شيء .. قد تبدو رومانسية بلهاء أن أقول إن هذه رائحة أنفاسها ، لكنها الحقيقة ، فصنفا كما تريد ..

لو كنت الظروف مختلفة لتكلمت عن غرفة ( برنات ) وكتبت ألف بيت شعر ، ولربما جمعت ملاحظاتى عنها فى كتاب من ألف صفحة يضاف لتراث البشرية الأبدى ، أما الآن فأتا فى مزيج لا يصلح إلا للجلوس فاحتساء بعض المياه الغازية ، فمراقبة ( برنات ) وهى تداعب بسرعة خارقة مفتاحي جهاز حسابها الشخصى النقال ..

سألتني وهي تنتظر ظهور البيئات :

- « تقول إنه أطلع الرئيس تمامًا .. »

- « وبلا شارب .. »

- « هذا غريب .. يمكن فهم الشعر لكن الشارب نوع من المبالغة في التكرار تزيد الأمور تعقيداً .. وهو معرض باستمرار للمفوق في أول طبق حساء ساخنة .. »

ثم قلت وهي تنق على المنضدة (بكلوة) يدها في عصبية :

- « الأمر واضح .. هذا الرجل ضحية إشعاع بدوريه .. ومن المؤكد أن ما يتعاطاه هو الـ DTPA .. وقد حصل عليه بنفس الطريقة التي نفذها ( شيلبي ) .. تقول إن العبوات كانت تحمل شعار الـ FDA ؟ »

- « نعم .. »

قالت وهي تواصل الكتابة :

- « إن الـ FDA .. تحتفظ بسجلات الأدوية التي تسمح بها أو تجدها للأشخاص الذين يعانون أمراضاً غير معتادة ..

عام ١٩٨١ لاحظ باحث في الإدارة وهو يراجع الحاسب الآلي ، أن جرعات كثيرة من دواء ( بنتاميد )

قد تم صرفها في العام الماضي في (سان فرانسيسكو) ..  
إن العقار يستعمل لعلاج مرض الـ FDA ، وكان من  
المعتاد ألا يصرف إلا مرة كل عام أو كل عامين .. دي  
هذا جرس إنذار لدى الرجل .. هه ؟ لماذا ظهرت كل  
هذه الحالات من الـ PCP في عام واحد في بلد واحد ؟  
وبمزيد من التحقيق عرف العلماء أن هناك مرضًا جديدًا  
ظهر في (سان فرانسيسكو) ، وهذا المرض يسبب زيادة  
الإصابة بطفيل الـ PCP .. وصرعان ما صار اسم المرض  
هو ( متلازمة فقدان للمناعة المكتسب ) .. الإيدز .. »

هزئت رأسي موافقًا .. أعرف هذا حيث لا توجد  
سجلات دقيقة يستطيع الكمبيوتر أن يستنتج كل شيء ..  
أفرغت ما بالعلبة في جوفي وتجشأت في رقة حتى  
لا تصاب ( برنات ) بالذعر ..

سألتها :

- « هل تتوين إرسال بريد إليكتروني ؟ »

- « كلا .. هذا يستغرق وقتًا ثمينًا .. بل سألجا إلى  
المحادثة المفتوحة مع خبير هناك .. وهو سيبحث بنفسه  
ويعطيني الإجابة .. »

ودارت للمحادثة على الشاشة .. مباد الصمت فلم أعد  
أسمع سوى قعقة المفاتيح ، وكنت منهكاً بعد هذا اليوم  
الطويل الذي بدأ بغزاة الفضاء يقتحمون حجرتي ، وانتهى  
بافتحامي غرفة الرجل .. لهذا شعرت بأن جفوني تزداد  
ثقلًا ، ولم أعد قادرًا على متابعة ما يدور على الشاشة ..

لا بد أن ربع ساعة مر ، أفقت بعده لأجد أنني راقد  
على أريكة مريحة ، وثمة غطاء من الكريتون على  
ساقى .. نهضت مذعورًا كأننى ضبطت متلبسًا ، فقلت لى  
( برنات ) وهى ما زالت أمام الكمبيوتر على المنضدة :  
- « لا تقلق .. استمر فى النوم فما زالت المحادثة  
مستمرة .. »

لكنى نهضت ورحلت أفرك رأسى كما تفعل الأسود  
عند الاستيقاظ ..

بعد دقائق انتهت فأغلقت الاتصال ، وراحت تستعرض  
نص المحادثة .. ثم قالت لى وهى تجرع بعض القهوة  
( متى صنعها ؟ ) :

- « يوجد اثنان قاما بصرف جرعات عالية جدًا من  
حمض الـ DTPA على قدر علم الخبير .. الأول يدعى

( هارولد ملكسكى ) وهو عامل أمريكى ، كان يعمل فى موقع ( هتفورد ) قرب ( ريتشلاند ) (١٠) .. حدث هذا عام ١٩٧٦ .. وكان الرجل يعمل فى وحدة خاصة لإنتاج الإمبريسيوم - وهو مادة تفوق البلوتينيوم خمسين مرة قدرة إشعاعية - وعمله يقضى بأن يراقب فصل الإمبريسيوم ، والعمل من وراء زجاج رصاصى سميك محركاً يديه من خلال قفازين ..

« حدث خلل معين فى دورة حمض النتريك المسنولة عن فصل الإمبريسيوم من الراتنج .. وفجأة انفجرت الأنابيب ، وغطت المادة المشعة وحمض النتريك وجهه ( ماك ) .. وامتصت رئاته كمية إشعاع لم تدخل قط رئتى إنسان من قبل فى تاريخ الذرة ..

« قام الفريق الطبى بحمل الرجل إلى حوض من الماء والصابون ، ومزقوا ثيابه وراحت ممرضة تفصله من الزجاج المهشم والدماء والحمض ، ثم نقل إلى غرفة طوارئ الإشعاع .. وكانت مشكلة الحروق التى ملأت وجهه وجلده هينة ، لأنها ستعالج بالطرق التقليدية التى

---

(\*) قصة حقيقية .



يعرفها أى طبيب .. المشكلة الحقيقية هى كميات الإشعاع  
التي امتصتها أعضاؤه الداخلية ..

« كانت هذه هى المرة الأولى التي فكر فيها الأطباء  
فى استخدام مادة ( الكالسيوم داي إيثيلين تريفامين بنتا  
أسيتيك أسيد ) للخلاص من الإمبريسيوم ، وهى عامل  
كلايى يلتحم بالفلزات الثقيلة ويؤدى إلى إفرازها بسهولة  
من الجسم مع البراز أو البول .. وهكذا - بموافقة خاصة  
من إدارة الأطعمة والدواء - بدأ الأطباء فى إعطائه جرعة  
هائلة من هذا العقار ، وأدركوا أن جسده يتخلص من  
المادة بكفاءة فى البراز والبول ..

« كانت المشكلة التي لم يتوقعها الأطباء هى فقد  
الزنك من جسد الرجل بسرعة مخيفة .. إن العقار يخلصه  
من الزنك كما يخلصه من الإشعاع ، وهنا فكروا فى  
استخدام العقار متحدًا بالزنك .. وبالفعل نجحت الفكرة ..

« ظل الأطباء ثلاثة أشهر كاملة يتوقعون كارثة ما ،  
لكن لم يصب الرجل بشئ من الخاع ولم يمت بالعدوى ..  
واستعادت عيناه إبصارهما بعد عمى طال .. فى النهاية  
عاد إلى داره لا يحمل من آثار الحادث إلا ندوبًا على  
وجهه ..

« هذا هو الحادث الموثق بعناية لدى الإدارة .. بعد هذا في عام ١٩٩٧ حدث تسرب مماثل للإمبريسيوم في نفس المفاعل ، وتعرض فني شاب يدعى .. ( مايكل نورتون ) لجرعات عالية لكن حالته كانت أفضل ، وقد استجاب بسهولة إلى العلاج بعقار DTPA .. لكن الأطباء وجدوا أنه من الأفضل أن يتعاطى هذا للعقار بالفم ولغترات أطول قد تصل لثلاثة أعوام .. وقد قاموا بإمداده به بتصريح من إدارة الطعام والدواء .. للأسف لا توجد سجلات عن الرجل بعد تعافيه من الإشعاع .. يبدو أنه غادر الولايات المتحدة ، وإن كانت الإدارة ترمي له بانتظام ما يحتاج إليه من العقار مخلوطاً بالزنك ، ومن الواضح أن تحمل هذا النوع يكون أسهل .. »

قلت لها في حماس :

- « طبعا نحن نعرف الآن أنه في الكامبيرون ، وأنه يعمل في وحدة ( سفاري ) .. »

قالت وهي تعيد قراءة المکتوب :

- « نسيت أن أقول لك إن كلا من الرجلين كان يعاني من اضطهاد المجتمع ، وحالة اللذعر التي تقابلهما كلما عرف

الناس قصتيهما .. لا أحد يأكل بجوارهما ، ولا أحد  
يضافحهما ، الأول كان شيخاً ، أما الثاني فكان شاباً لم  
يجد فتاة تقبل الزواج منه .. ولنفرض لحظة هنا أنه  
عرف الخطر الذي يمثله على أحبائه من ثم قرر أن  
يتركهم طواعية «

- « هذا ادعى لتفسير محاولة ( ماريك ) الهرب بعيداً  
عن أى شخص يعرفه .. »

- « وهذا يفسر الشارب المستعار .. إنه يحاول أن  
يبدو بالضبط كما كان قبل الإشعاع .. »

قلت لها مفكراً :

- « لكن هذا لا يفسر كل شيء .. لماذا أصيب بعضنا  
بالإشعاع ولم يصب البعض ؟ إتينا جميعاً نتلقى نفس  
الجرعة .. »

- « الناس يتباينون في استجابتهم للإشعاع .. نحن  
لا نعرف بالضبط من لمسه ( ماريك ) ومن أكل معه ومن  
علقه .. »

للأسف ما زالت القصة ملأى بالثغرات .. مئات الأسئلة

فى ذهنى تتدافع كالبىض حتى يهشم بعضها بعضا ..  
حين أحاول العثور على السؤال لا أجده بسهولة ..  
حقاً قد بلغ منى الإرهاق مبلغاً ..

★ ★ ★

« وداعاً يا أصدقائى ..  
من الصعب أن أموت ..  
بينما الطيور تغرد فى السماء .. »

★ ★ ★

www.dvd4arab.com  
Hany3H  
www.dvd4arab.com

## ١١ - رجل الإمبريسيو ..

بعد دقائق عشر كنا نعب فرجة الأشجار خارج مسكن الأطباء ، قاصدين تلك الجهة المقابلة التي تصعد منها إلى الإدارة .. لا شيء إلا ظلام الليل وصوت كائناته وأضواء خافتة من بعض كشافات ..

إن ( بارتلييه ) يعرف هذا كله ولمسوف يتواثب ويترجرج ، ويصب جام غضبه على رأسى باعتبارى مجنوناً ، لكن ( برنات ) ستفتح الكمبيوتر النقال الخاص بها ، وتعرض عليه المحادثة كاملة .. طبعاً لم أكن أعرف وقتها أن ( بارتلييه ) مريض متوَعك لا تسمح حالته بسماع هذه الأمور ..

قلت لـ ( برنات ) ولنا أمسك بيدها كي لا تتعثر فى للظلام :

- « يمكن القول إن ( مايك ) ليس مجرمًا .. إنه مجرد ضحية حاولت العودة إلى المجتمع .. »

كانت تلهث فى الظلام ربما اتفعالاً أو بفعل البرد الذى بدأ يشتد على ظهر العادة هذه الليلة :

- « كان يوسعه أن ينثرنا .. إن جرمه كجرم مريض  
النرن أو الجذام الذي يندس وسط الأصحاء ، ويشرب من  
نفس أكوابهم ، ويستعمل أدوات طعامهم بدعوى أنه  
لا يريد أن يشعر بالاختلاف »

ثم بنهجة حكيمة مبالغة فيها أضافت :

- « .. إن حرية المرء تنتهى حين تصطدم بحريات  
الآخرين .. من حق المريض أن يعيش حياة طبيعية ، ومن  
حق الآخرين أن يعرفوا أنه خطر عليهم .. »

لم أعلق وإن تمنيت التعليق .. أنتم تعرفون ضيقى  
الشديد بالمقولات المحفوظة للمسحاة على غرار ( الفناعة  
كنز لا يفنى ) .. إنها صحيحة لكن تكرارها قد جعلها  
كالصلة التى تهكها التداول .. لم أعلق لأننا فى اللحظة  
ذاتها لمحنا من بين الأشجار لمعة خاطفة .. كلما هناك من  
يجرب قداحة لاتصل ، وشعرت بتيار من الهواء يمر جوار  
رأسى .. ثم تطاير بعض الملائك من جدار بجوارى ..

بدا لى هذا ملوفا ثم قطنت إلى الحقيقة ..

- « هناك من يطلق الرصاص علينا من مسدس كاتم  
للصوت !! »

وفي اللحظة ذقتها كنت أجنبها من يدها متجهها نحو  
إحدى الأشجار القريبة .. توارينا خلفها لاهئين .. لا أدرى  
إن كان يطلق للرصاص الآن أم لا ، ولم أعرف حقاً  
إلا حين سمعت غصن الشجرة يتهشم ..

همست ( برنات ) مذعورة :

- « تبا ! إنه يعرف ! »

ثم بصقت الغبار الذى وصل إلى فمها لسبب لا تذكره ،  
وهمست بصوت كالضحك :

- « إنه مجنون تماماً ! »

- « ولم ؟ إنه ممدس كاتم للصوت ، ولن يستطيع  
أحد معرفة من فعلها بنا حين يجدون جثتنا .. »  
ثم نظرت من وراء كتفى ..

نظرت لسبب لا أنكره .. لكنى وجدت ( مايك ) واقفاً  
هناك والممدس فى يده ، وابتهامة رقيقة حزينة على  
شفتيه ! متى دار من حولنا وكيف وجدنا ؟ تلك الأسئلة  
لا أملك الإجابة عنها الآن ..

جذبت كم ( برنات ) لترى ما أراه فأطلقت شهقة  
ووثبت للوراء ..

قال ( مايك ) فى لهجة خجول كلما داس على قدم  
سيده فى الحافلة :

- « لو سمحتما لى فبتنى الفضل الكلام فى مكان آخر ..  
أرجو أن ترافقتى إلى داخل الدغل .. »

كان المهندس فى يده بفوهته الطويلة العلامة التى  
تذكرك بأفلام الجاسوسية ، وكانت حجته مقنعة جداً ..  
حجة لها صوت الرصاص وسرعته وقوته .. من الواضح  
أنه سيقبلنا هنا لو أرغمناه على هذا ..

وهكذا مشينا فى بطء بين الأشجار .. العشب الأسود  
الندى يتهشم تحت أقدامنا ، وثمة شعور يراودنى بأننا لن  
نقتل .. إن الأمر كله أقرب إلى نوع من لعبة المساكاة ..

لا بد أننا مشينا نحو ثلاث دقائق ، حتى وصلنا إلى  
موضع خال بين الأشجار الإفريقية .. وهو قريب جداً  
بالمناسبة من الكوخ الذى كان ذلك الألمانى يجرى  
تجارب التجميد فيه .. لقد صار الكوخ الآن بقايا متفحمة  
لكن نكرياته لم تمت بعد ..

سمعت صوته يقول فى الظلام :

- « توقفنا .. »





لا بد أننا مشينا نحو ثلاث دقائق ، حتى وصلنا إلى موضع  
خال بين الأشجار الإفريقية ..

أمسكت بكف ( برنات ) الباردة وتوقفت دون أن  
أنظر إلى الوراء .. لن يطلق الرصاص .. لن يفعل ..

شاك ! كان هذا صوت عود من الثقب يحنك بالعطية  
ثم شممت رائحة التبغ .. استدرت للوراء لأجده يشعل  
لغلفة تبغ وقد استند إلى جذع شجرة غليظ .. وفي ضوء  
اللمب كان وجهه خائياً من المشاعر .. لا يظهر كرهاً أو  
سروراً .. ثم لتطفا العود ومعه تلاشى وجهه في الظلام  
من جديد ..

قال لي كلما يكلم نفسه :

- « لا مفر من أن ينكشف كل شيء في النهاية ..  
ما كان السر ليبقى سرًا أكثر من هذا .. »

ثم أضاف وهو ينث للسخان في الهواء :

- « كانت ضربتك قوية لكني بالطبع استطعت رؤية  
وجهك في المرآة .. وحين أفقت استطعت أن أرى ما كنت  
تبحث عنه بالضبط وما وجدته .. بعدها بحثت عنك كثيراً  
فلم أجد لك أثراً .. كنت أعرف أن الخطوة التالية هي  
إبلاغ المدير ، لذا وقفت هنا لأقطع الطريق إلى مكتبه ،  
ولأرى كل من يحاول الوصول إلى هناك .. لم أحلم حين

لشريت هذا المسدس من مغامر ألماني هنا أنتى سألته  
يومًا ما .. كنت أحسب أن المسدس ضرورى لإفريقيا  
كما أن الزلاجات ضرورية لسويسرا »

ثم مسح وجهه بكفه فى حيرة كأنما هو فى ورطة  
عظيمة وقال :

ـ « الآن ماذا أفعل بكما ؟ لست ممن يحبون القتل ،  
لكنى قد صرت فى موقف لا يسمح لى بالاختيار .. إما أنا  
أو أنتما .. »

قلت له وقد ازداد يقينى بأنه لن يمينا بموء :  
ـ « دعنى أعطك حلًا لا بأس به .. تركنا وسنظل  
صامتين .. »

ضحك كثيرًا حتى خنقه السعال ، وأدركت أن اثراته  
النفسى ليس على ما يرام .. فى الغالب هو تحت تأثير  
مشروب أو مخدر ما .. هؤلاء يضحكون ويكون فى نفس  
الوقت حتى لتعجز عن فهم ماذا يفعلون بالضبط ..

ـ « هى هى ! طبعا .. طبعا .. ما من ضريبة على  
الوعود ، وهذا هو وقت بذلها بسخاء .. هى هى !  
الأمريكى الأحق الثمل - بل والمشع كذلك - يمكن خداعه  
بسهولة .. هى هى .. »

ثم توتر كما توقعت وقال بصوت كالقبح :

« أنتما لا تعرفان كم من تدابير اتخنتها لأعيش هنا مجهولاً لا يعامله الناس كجراثومة الطاعون .. لقد كنت أشع كمفاعيل صغير ، وكنت إبرة العدادات تقفز كلما مررت بجوارها .. توقع الأطباء أن أموت من يوم لآخر ، ولكنني ظلت حياً بمعجزة ما .. لا أحد يفهم كيف ظلت حياً بكل هذه الراديات المشعة داخلني .. فقط سقط شعر رأسي وشاربي كما فقت للأبد أن أكون أباً ..

« بعد أشهر عدة بدعوا يتكلمون عن تحسن حالتني وعن إمكانية مغادرتي المستشفى ، لكن شيئاً لم يعد كما كان .. وعرفت بسهولة أنني خطر داهم على البشرية .. تأكدت من هذا يوم هلك كلبى المدلل ، ويوم راح عداد (جايجر) يعوى بجنون حين وقفت جواره .. الحمقى لم يعرفوا لكنني عرفت بسهولة .. وقررت أن أجرب حظي في مكان لا يعرفني ، عسى أن تزول لعنة الإشعاع التي تلاحقني ..

« هربت من حصار الأطباء لي ، وقررت إلى هنا لأن (سافاري) كانت بحاجة إلى فنيين .. مؤهلات مزورة بالطبع .. كان كل شيء يمضي كما رسمت له ، وقدرت أنه خلال خمسة أعوام سيكون قد تخلصت تماماً من بقايا

الإشعاع .. ثم بدأت الوفيات .. وبدأ كل شيء بموت حين  
لتعامل معه .. إبنى الرجل للزرى .. رجل الإمبريسوم الذى  
يتبعه الموت فى كل خطوة .. لا أحد يعرف هذا غيركما .. «  
ثم ترنح قليلاً وقال :

- « من السهل الآن أن ألتكما وأترككما هنا .. مستمر  
أيام حتى يجد جثتكما أحد ، وعندها لن يعرف أحد من  
قطعها أبداً .. لا أرى ما سيحدث لوحدة (سافارى) غداً ،  
لكنى أرجح أن الصخب سيدوم أياماً ثم ينتهى .. سيقومون  
بتفتيش المكان مراراً ، وفى كل مرة سيعلنون أنه نظيف .  
وفى النهاية ستعود (سافارى) إلى ما كانت عليه .. «  
هنا - للغرابية - سألته (برنات) سؤالاً عجيباً بعض  
الشيء :

- « لماذا تجمع برارك وتتخلص منه فى القبر ؟ »  
كان هذا آخر سؤال يمكن أن تسأله فتاة قد تتلقى طلاقة  
فى رأسها بعد قليل .. لكنى فهمت أنها مثلى لا تتوقع  
حدوث شيء مخيف .. فى الغالب سينهار هذا للفتى  
ويلقى بالمسدس على الأرض ..

ضحك (مارك) كثيراً حتى عاوده السعال .. ثم قال :

- « هي هي هي اكلا .. ليست هذه مجرد عادة  
قذرة .. لقد طلب منى الأطباء في الولايات أن أرسل لهم  
عينات أسبوعية من فضلاتي كي يقيسوا ما بها من  
(إميريسيوم) من حين لآخر .. كان من الصبر الاحتفاظ  
بهذه العينات في غرفتي طبعا ، لذا أخفيتها في القبو ..  
لم أجد قط الفرصة لإرسال هذه الشحنة الغريبة لأن  
الفران وجلت الأكياس ومزقتها .. »

- « وراحت تواصل مهمة نشر الإشعاعات في  
(سافاري) .. »

- « بالضبط .. قبل أن تموت من التلوث طبعا .. »  
ثم ألقى بقايا السجارة ، ومسح فمه .. وقال وهو  
يرفع المصلس :

- « الآن يمكن أن تنتهي من هذا .. أرجو أن تقف  
وتوليا وجهيكما شطر هذه الشجرة .. »

إنه لا يمزح إذن .. هو لا يعلم غين ما يفعله ..  
قلت له بلهجة مفعمة بالكياسة والتعقل :

- « فكر يا (مالك) .. كنت لست قاتلاً .. أنت مجرد  
ضحية .. »

- « بل أنا سفاح حقيقي .. لقد قتلت كثيرين بالإشعاع ،  
فماذا سيحدث لو قتلت اثنين فقط بالرصاص على سبيل  
التجديد ، وحتى تستقيم حياتي من جديد ؟ هذا لن يجعل  
جرائمى أكثر بشاعة .. »

كلام منطقي طبعاً ولا يستطيع إلا أن أوافق عليه ..  
كان عقلى يحاول البحث عن مخرج .. لو هاجمته الآن  
كما يحدث فى القصص ، فلن أجد الوقت الكافى .. إنه  
على مسافة مأمونة .. ويقت إلى حد ما ..

لا أرى كيف ولا متى وجدنا أننا ننصاع لأوامره ..  
أدركنا له ظهرينا وتلمعنا الشجرة فى نوع من انعدام  
الوزن الشديد .. قلت لها همماً :

- « لن يفعل .. يؤكد لك أنه لن يفعل .. »

- « لا تراهن على ذلك .. »

عدت أهمس بكلام كثير حين تعالى صوت ( مايك )  
للمتحضر ج شبه المجنون يقول :

- « والآن .. سأطلق الرصاصة الأولى على أكثر  
واحد أمفته هنا .. إن الرصاصة الأولى ستجعل مستقبل  
البشرية أفضل والعالم أنظف ! انتباه ! »

ونوى صوت له (هوف) للمميز للمسدست للصمعة ..  
صوت مدادة الزجاجة التي تنتزع ..

في نفس اللحظة نظرت ملهوفاً إلى (برنات) فوجنتها  
ملهوفة تنظر لي .. كلانا وجد أنه لم يمت .. لهذا حسب كل  
منا أن الآخر هو الأول .. رائحة البارود تملأ المكان ..  
ونظرت إلى الوراء لأجد ما توقعت ..

(ملك) على الأرض ، وقد سقط شعره المستعار ،  
والدم ينز كالنهر من ثقب في صدغه ..

★ ★ ★

« وداعاً يا أبى أرجوك صل من أجلى ..  
لقد كنت أنا وصمة عار الأسرة ..  
حاولت أن تعلمنى للصواب من الخطأ ..  
خمر كثيرة .. غناء كثير ..  
بدهشنى كيف تعاملت مع الحياة .. »

★ ★ ★



## الخاتمة ..

« ليس من المعتاد أن تكون هناك خاتمة في (سافاري) ، لكن وجودها لن يؤذي أحداً على كل حال »  
قال ( بارتلييه ) وهو يتفقد حجرة ( مايك ) التي صارت الآن كلبى هول لا سر له ..

- « غريب .. غريب .. لكن كل شيء يؤكد أن القصة صحيحة .. وقد قمنا بدفن جثته في قبر خرماتى لا يسمح بتسريب شيء .. إن أحداً من أقاربه في الولايات لم يطالب بالجثة .. »

ثم أضاف وهو يلوح بذراعيه المكتنزتين :

- « الآن كل شيء نظيف في ( سافاري ) وقد تكدنا من هذا .. »

ثم نظر لى وصلبنى :

- « كيف عرفت أنه لن يقتلكما ؟ »

قلت في لهجة من يقول شيئاً مفروغاً منه :

- « لقد احترقت سفينة كلها يا سيدي .. صار جوادًا خاسرًا .. وما كان قتلنا ليؤجل اكتشاف الحقيقة إلا بضعة أيام .. لقد تأمل موقفه لدقيقة ثم وجد أن الهدف الصحيح الذي يجب تصويب الرصاصة إليه هو صدغه .. لقد كان هذا الفتى أحوج إنسان إلى جزيرة خالية من البشر .. هناك ربما استطاع أن يبدأ من جديد .. »

- « لقد فر إلى الكامبيرون لهدف كهذا .. لكنه اكتشف سريعًا أن للعالم أكثر ازدهارًا مما كان يظن .. »  
علقت ( برنات ) بدورها :

- « كان من حسن حظه انتشار إشاعة الطبق للطائر المزعوم هذه .. لقد جعل هذا تفكير الجميع ينحصر في زاوية واحدة .. وضاع وقت ثمين في بحوث لا طائل من وراءها .. »  
- « يبدو أن أوبنة الحضارة - ومنها الخيال الواسع - قد تسربت إلى مجتمع ( أجاواتيري ) المبكر .. »

خرج ( بارتلييه ) من الحجرة ، فهمست ( برنات ) في أنفي بمكر لعوب :

- « برغم كل شيء اعتقد أنك كنت واثقًا من أنه سيقتلنا .. »

— « لماذا ؟ »

قلت وهي تغادر الحجرة :

— « الكلمات الأخيرة التي همستها في أفنى قبل انطلاق  
الرصاصة .. لقد كانت صليقة بالتأكيد قادمة من قهو روحك !  
إن المحتضرين لا يجدون البال الرائق كي يقولوا سخفاً »

قلت بصوت عال :

— « ولربما كان للهلع قد جعلني أخرف ! »

لكنها في الغالب لم تسمع هذه العبارة الأخيرة ..

\*\*\*

سلمى بماذا تفكرين ؟ سلمى بماذا تحلمين ؟

( حتى لو كانت الكاف غير مشددة )

\*\*\*

قلت ( حكمة ) وهي ترمق الليل البهيم بالخارج :

— « إن هؤلاء القوم من ( سافاري ) لم يصدقوا حرفاً

مما قلناه ولم يعودوا يا ( ماتانجا ) .. »

قال ( ماتانجا ) وهو ينظر إلى حيث تنظر ، وقد بدأ

الضوء الأحمر يتشكل على ملامح وجهها :

- « إتهم بيض يا ( حكمة ) .. والبيض لا يصدقون السود  
أبدًا .. إتهم يعاملوننا كقرود هبطت فورًا من فوق الأشجار ،  
ثم إتنا فقراء .. والعالم لا يعطى أنه إلا للأثرياء .. »

ثم إته بحث عن البندقية القديمة فأمسك بها ، وأحكم  
غلق القميص الرث على كرشه العملاق .. فالليل بارد  
ولم يعد المشى بالفاتلة الداخلية محببًا ..

سألته في قلق :

- « هل ستحاول التفاهم معهم ؟ »

قال في سخرية :

- « وهل سيفهمون ؟ إتنى فقط أريد أن يعلموا إتنى  
الرئيس هنا .. »

- « كن حذرًا .. إتنا تحت رحمتهم .. »

قال وهو يفتح باب الكوخ :

- « لن أبدا بشيء .. لكنى سأطلق الكثير من هذه  
البندقية العجوز لو ارتبت في شيء .. إن البندقية العجوز  
ما زال لديها ما تقول .. »

وخارج الكوخ كان الرجال واقفين ينظرون في رهبة ..  
سرهم بعض الشيء أن ( ماتانجا ) هنا هذه المرة ، وأنه

سيتصرف .. إن ( ماتتجا ) العجوز البدين يعرف ما ينبغي عمله ..

اتسع بياض عينيه في الظلام وبحزم نظر للرجال ، ثم أمرهم :

« اتبعوني .. »

تبادلوا النظرات الصامتة ثم مشوا خلفه ..

مشوا خلفه في تودة نحو الجسم العملاق الجاثم في الغابة ، والذي يشع أنواراً حمراء وصفراء ، والذي بدا بابه ينفتح الآن ..

ماذا سيحدث بعد هذا ؟ كنت أتمنى الإجابة .. لكننا لانجيب عن أسئلة كهذه في وحدة ( سافاري ) .

د. علاء عبد العظيم

أنجاواتديرى

[ تمت بحمد الله ]

رقم الإصدار ٢٠٢٠/٢٠٢١

المطبعة العربية الحديثة

الطبعة الأولى ٢٠٢٠

الطبعة الثانية ٢٠٢١



سافاري

مغامرات طيبات وشباب وحافظ  
لكن بشكل جيد ولكن بشكل طيب

روايات  
مصرية  
الحبيب



!!!! ؟؟؟



د. احمد خالد توليق

[www.dvd4arab.com](http://www.dvd4arab.com)  
Hany3H

المؤسسة العربية الحديثة

للطباعة والنشر  
ت. ٢٠٠٠ - ٢٠٠١

الكتاب في مصر ٢٠٠٠  
ومجلة الكتاب العربي  
مراجعة الدكتور أحمد

العدد القادم  
الدواء الذي يقتل